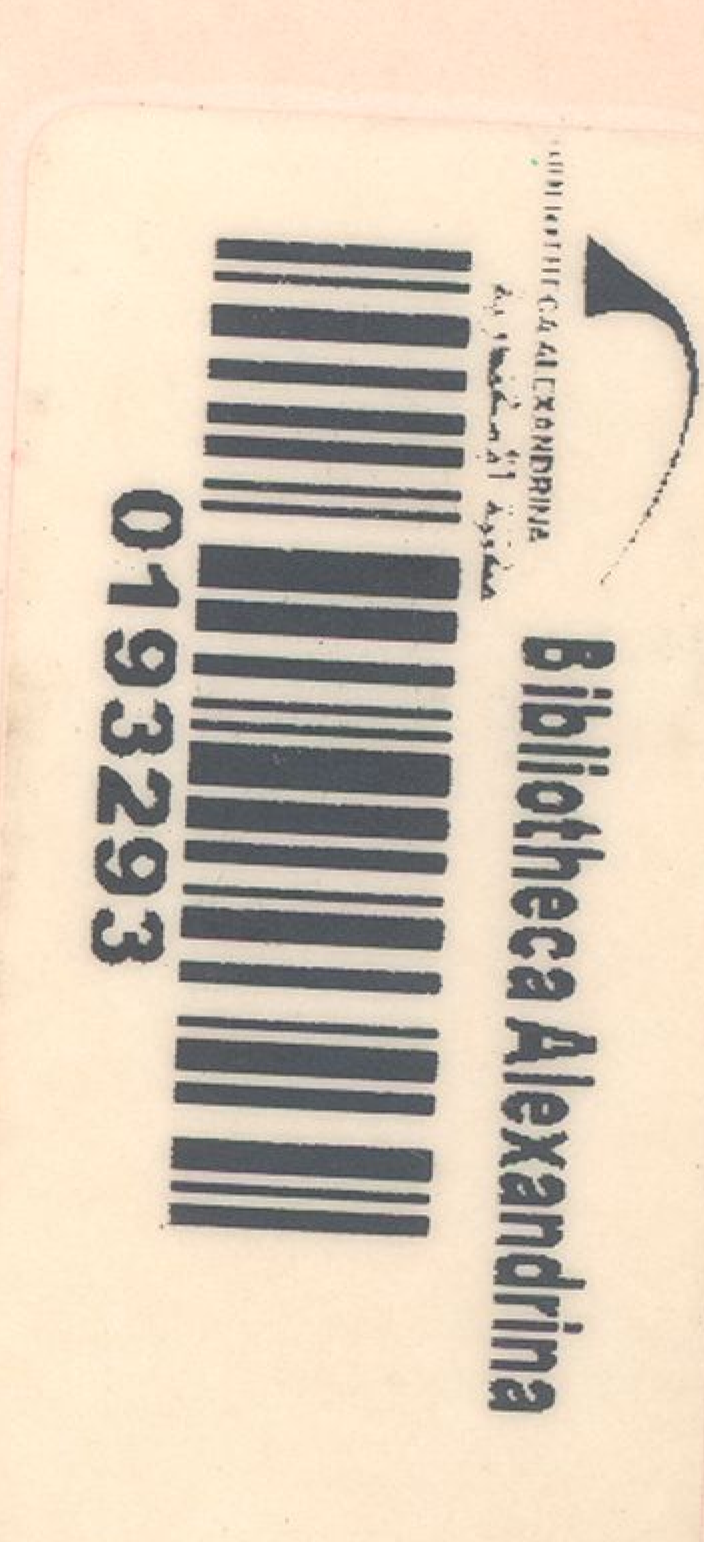
محمد طاهر الجبلاوي

ذكرى تاجور



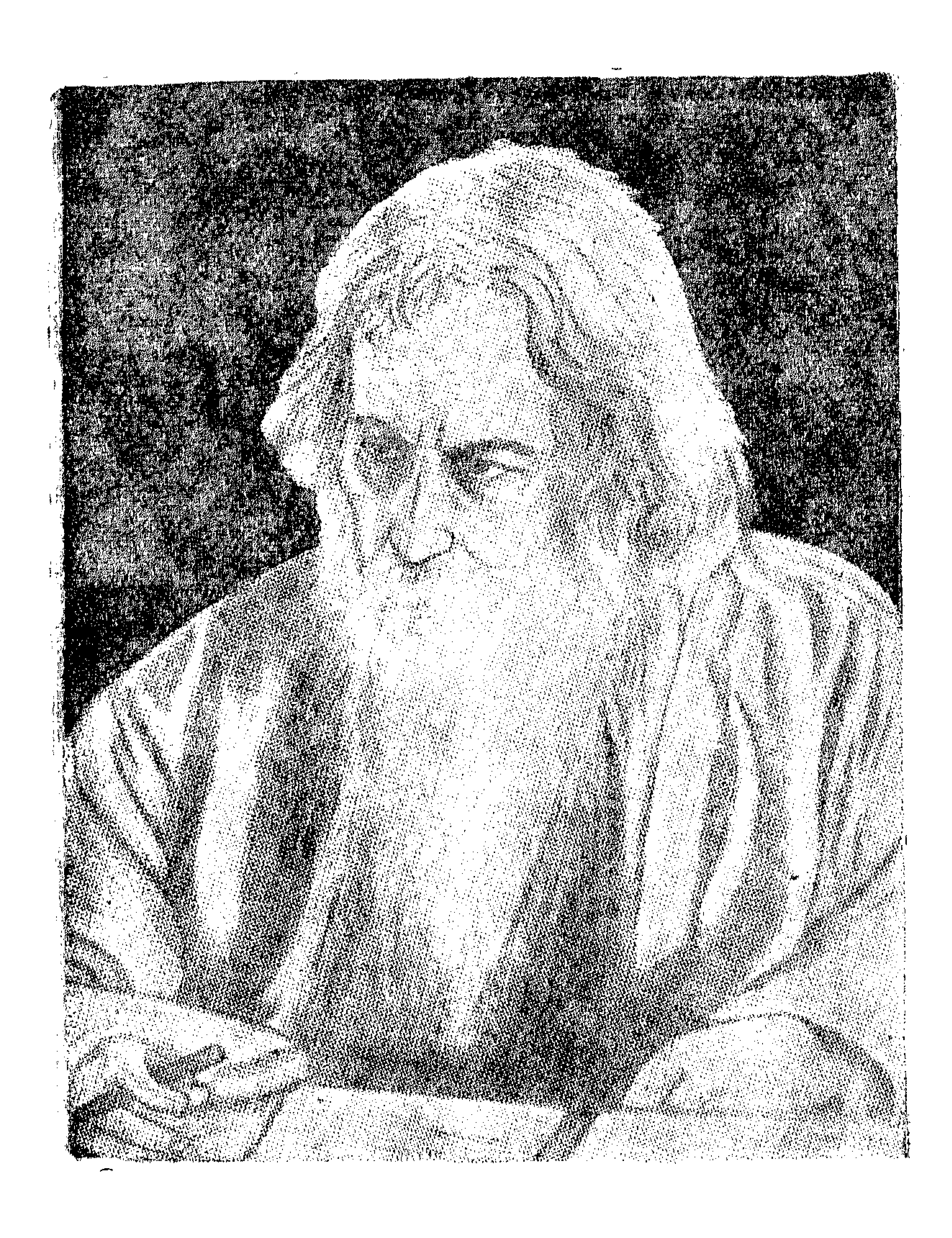
ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد بك فريد (عماد الدين سابقا)

محمد طاهر الجبلاوى

ذكرى تاجور

ملتزم الطبع والنشر
G مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد بك فريد (عماد الدين سابقا)

٦١



تقدمة

فى هذه الأيام التى يتعالى فيها صوت القوى المادية ويرتفع فوق كل صوت ، وتتنافس الأمم فيما بينها على السطوة والجبروت ويبلغ الجشع بينها مبلغا يكاد يهدد الانسانية بالدمار ، ينبعث صوت من الهند غريب على تلك الروح . ولكنه ليس بغريب على الحياة ووشائجها المتأصلة العميقة ، ذلك هو صوت تاجور شاعر الانسانية . الذى حمل رسالة الروح وتغنى بها فأسمع العالم أناشيد السموات التى تدعو إلى الإخاء والمحبة بين سائر الناس ، وكان لهذا الصوت وقعه فى النفوس فانتشرت أغانيه الشعرية وسائر مؤلفاته بين الأمم الحية وقدرتها خير تقدير .

وقد حملت الهند رسالة تاجور بعد موته وانتقل المشعل من يد الشاعر إلى أيد كثيرة تنادى بآرائه ومعتقداته فى انتشال الانسانية من وهدة الفاقة الروحية التى تدفع بها إلى الأثرة والبغضاء وحب الامتلاك . وفى هذه الآونة الدقيقة فى حياة

العالم المندفع وراء المادة تنادى الهند بأحياء ذكرى شاعرها العظيم.

حقا إن رابندرانات تاجور يجب أن يذكر فى هـذه الأيام بل وفى كل الأيام . فإن النفس الانسانية تحتاج فى كل وقت إلى من يذكرها بأنسانيتها ويدفع عنها غوائل الأثرة والبغضاء . وإن شاعر الهند أولى بأن يذكر فى هذا المقام .

وقد ألفت الكتب الكثيرة عن تاجور فى سائر اللغـات، إلا أن اللغـة العربية لا تزال مفتقرة إلى كتاب بل كتب تعطى صورة صحيحة عن حياة هذا الشاعر ومؤلفاته وآرائه ومعتقداته .

فرأيت بمناسبة إحياء الذكرى المئوية للشاعر أن أؤلف هذا الكتاب . ويتناول نشأة الأدب فى البنجال ، نشـــأة تاجور ، أشـعاره وتمثيلياته ، آراءه ومتقعداته ، مختـارات من آثاره الأدبيـة وقد استعرضت ثمـانية كتب من مؤلفـاته ونشرت مختارات منها ورأيت من تمام الفائدة أن أقدم بنبذ صغيرة لـكل ما أوردت من آثاره الأدبية لتكون كل منها بمثابة المصباح الذى يبين معالم الطريق .

وأرجو أن أكون بذلك قد وضعت لبنة فى ذلك الصرح

الذى تقيمه الهند لذكرى شاعرها الكبير وأن أكون بما بذلت من جهد قد وفقت إلى إعطاء القارىء صورة صحيحة ولا أقول كاملة عن حياة تاجور وآثاره الأدبية التى لا يمكن أن تحيط بها جميعاً هذه الصفحات ؟

١٥ / ٩ / ١٥٩٧ — محمد طاهر الجبلاوى

نشأة الأدب في البنجال

ظلت الهند ردحا من الزمن منعزلة عن العالم فى دياناتها وآدابها . بل كان كل إقليم فى الهند وكأنه ولاية مستقلة متباعدة متنائية عن غيرها ، لا تربطها بها روابط من أدب أو ثقافة . وكانت الديانات والمذاهب الهندية تكاد تكون بعدد الولايات والأقاليم . فلم ينشأ للهند أدب نستطيع أن نرى فيه صورتها الحقيقية فى تلك الأجيال المتباعدة .

وظلت البوذية تسيطر على كثير من مناحى الحياة الفكرية الهندية عدة قرون . وقد امتد سلطانها فى الهند حتى بعد أن ضعف شأنها وتقلص ظلها وسادت الديانة البرهمية التى حلت محلها

وقد تركت البوذية تراثا من الأغانى والأناشيد الشعبية كأاله الشمس وأناشيد الفجر وغيرهما مما لا يدخل فى باب الأدب بحال من الأحوال .

وبانتصار الهندوكية على البوذية بدأت روح جديدة في الهند عززها فتح المسلمين عام ١١٩٩ حيث سارت الحياة في طريق آخر وبدأت تظهر حركة فكرية وأدبية لم يكتب لها النضوج حيث أثرت عليها التقلبات السياسية وتوالى الحكام الأجانب .

وقد انتعشت روح الترجمة في عهد الفتوح الإسلامية وبدت تظهر بعض الأفكار والآداب التي كانت غريبة عن الهند إلا أن الشعر لم يكن له نصيب يذكر في هذه الحركة .

فالعرب على كثرة ما ترجموا لم يعنوا بترجمة أشعارهم إلى اللغة الهندية ولا غيرها من اللغات . إذ أن الشعر العربي يعتمد كثيراً على لغته وأساليبه ، ويفقد الكثير من قيمته بنقله إلى اللغات الأخرى .

وإذا كانت البنجال قد أخرجت بعض الشعراء الشعبيين وذوى المواهب في الأدب والموسيقى فقد كان جل هؤلاء من شعراء الأقاليم والقرى . من ذوى الخيالات المحدودة ينظمون الأغاني والأناشيد ولا يجدون ما يعبرون عنه فترد ساذجة مملولة وإن تناولها كثير من الناس حيث لا يجدون غيرها .

وظهر شنديداً الشاعر البنجالى بعد الفتح الإسلامى بمائتى سنة فصنع لأمته ما صنع شوسر فى عصره للأمة الانجليزية وما صنع دانتى للأمة الإيطالية وبرر دعواها فى الشعر والأدب .

وقد كان لعمق تفكيره ورقة إحساسه وسمو خلقه أثر كبير فى إحلاله مكانة لا تدانى فى أدب البنجال . فقد كان ينبوعاً لذلك الفيض الذى اغترف منه الكثيرون ممن جاءوا بعده من شعراء الأغانى فى الأمة الهندية .

ولم تخل الهند بعده من شعراء أحبوا الشعائر والتقاليد . . . إلا أن الشعر ظل يتعثر فى خطواته ، ويتردد بين قديمه وحديثه ، ويستق من معين لا ينتج خير الثمار .

وقد ظهر فى القرن الثامن عشر « بهاراتا شندرا » الذى وضع الأساليب الجديدة للشعر و « رمبراسادسن » من الشعراء الشعبيين الموهوبين وكانت لهما أناشيد وأغان جميلة شائقة ، حاكاها الكثيرون ممن لم يرزقوا موهبة الشاعرين أو يبلغوا شأوهما فى الإجادة فلم تظهر فى أشعارهم تلك الطلاوة ، ولم يكتب لها البقاء .

* * *

يتناوب الأدب فى الهند عهدان مختلفان كل الاختلاف :

العهد الأول ويرجع بنا إلى العصور القديمة حيث كانت تسيطر عليه الديانة البوذيه ثم يتدرج جيلا بعد جيل وقرناً بعد قرن حتى القرن الثامن عشر .

وكان أدب ذلك العهد أو تلك العهود ، لطول ما لبثت ، أدباً تقليدياً لا يتجاوز الشعر والأناشيد . . إذ أن النثر الفنى لم يكن قد ظهر ، كذلك المسرحية والقصة كما هى معروفة الآن .

وظل الشعراء فى هذه الأجيال المتتابعة منساقين بسليقتهم نحو الطبيعة الفطرية . متأثرين بعاداتهم وتقاليدهم القديمة ، وكل ما كان يطرأ على الشعر من التقدم فى ذلك العهد لا يتجاوز الأسلوب ومحاكاة الحديث للقديم والسير على منواله إذا استثنينا ومضات كانت تظهر من آن لآخر فى أشعار بعض الموهوبين فتضىء الطريق لرواد الشعر وتكشف لهم عن معالمه . . ولكن هذه الومضات لا تلبث أن تختفى ويليها ظلام قاتم يتكشف عن ظهور شاعر من آن لآخر بأسلوب جديد وإن كان لا يختلف كثيراً عمن تقدموه .

أما العهد الثانى فهو عهد اتصال الهند بالأمم العربية واستقائها من معين أدب الغرب . فقد ظلت الهند فى عهدها الأول تحوم حول نفسها وتجتر من تراثها لتهضمه وتنسجه نسجاً آخر لا يختلف عن الأول إلا فى شياته وبعض ألوانه .

ولم يكن الهندى ليخرج من قوقعته الكبيرة المترامية الأطراف ليطلع على العالم الخارجى ويبصر ما جد من ألوان الحضارة والمدنية بله العلوم والآداب التى كانت قد نشرت لواءها وبزغت أنوارها فى بلاد الغرب .

فلم يتأثر الأدب بتيارات الآداب الحديثة التى كانت قد انتشرت فى أوربا فى القرن الثامن عشر وامتد ظلها إلى كثير من الأمم والبلدان .

وقد بدأ تأثر الهند بهذه الروح الحديثة بوفود بعض البعثات الغربية إليها . ومن الرواد الأوائل الذين قدموا إلى الهند وليم كارى . وفد إليها عام ١٧٩٩ واستقر فى سرمبور وظل ينشر الثقافة والعلوم على اختلاف أنواعها زهاء أربعين عاما فقوبلت تعاليمه بالترحاب من رجال الأدب وقادة الفكر وساعده على أداء

هذه الرسالة بعض رجال الهند ذوى المواهب .

ومن مآثر وليم كارى أنه أوجد الطباعة فى الهند ونشر فيها الكتب المترجمة عن سائر اللغات وشجع حركة النثر التى كانت قد بدأت فى الظهور .

كان من أثر هذه العوامل أن ظهرت شخصيات من البنجال أحرزت البلاد على أيديهم نجاحاً مرموقاً فى عالم الأدب والسياسة ومن أبرز هذه الشخصيات « روماهن روى » الذى ولد عام ١٧٧٤ وظهرت بوادر عبقريته فى وقت مبكر .

وقد درس السنسكرتية والفارسية والعربيـة وأضاف إليها الانجليزية والأغريقيـة . وكانت له صلات وطيدة بالجاليات الأوربية .

وجعل نصب عينيه محاربة الوثنية التى كان لتقاليدها شأن كبير فى تلك البلاد . وهاجم أوجه النقص فى المجتمع وعالج الكثير من أحواله . وكان يشعر بآلام الشعب ويحسها من أعماق نفسه ويتحمل منها النصيب الأوفى ، وقد بذل جهد الطاقة ليزيل عنه الكثير من الشرور .

ومما يذكر عنه أنه أول من هاجم العقيدة التى تدعو إلى حرق الأرامل حتى قضى عليها فى كثير من الأقاليم .

وقد زار انجلترا واتصل بهيئاتها الثقافية وقوبل بالترحاب أينما حل .

وكان لتعاليمه أثر كبير فى أوجه النشاط المختلفة فى الهند ، دينية كانت أو سياسية أو أدبية أو اجتماعية وكان أول من كتب البنجالية الصحيحة فى نثره .

ويقول رابندرانات تاجور : إن النثر الذى كان يكتبه روى وهو يتناول المسائل العويصة بقلمه ، كان يتألق بالجمال ، وإن كانت أساليب النثر الفنى لم تعرف فى عصره .

وقد ازدهرت الحياة الأدبية فى عهد روى ، وبعد مماته ظهر « دواركنات تاجور » جد الشاعر فكان لشخصيته أثرها الفعال فى حياة الهند .

كان من سراة الهند ومن الرجال البارزين فيها . ولما زار انجلترا استقبل من هيئاتها على اختلافها بحفاوة بالغة . وكانوا يدعونه برنس دواركنات تاجور ، وكان موضع إعجاب

الكثيرين . وهو من أعداء الوثنية ورواد الأصلاح البارزين .

* * *

ولما كانت حركة « روى » ومدرسته قد بلغت أوجها وتطورت تطوراً مزعجاً بعد موته فقد قابلتها حركة أخرى . فأصبحت الهند أمام تيارين عظيمين لحركتين كبيرتين ترميان إلى هدف واحد وإن اختلفا فى الاتجاه .

الحركة الفكرية المتحررة فى الجامعة الهندية التى أنشأها « روماهن روى » فى كلكتا مركز الحياة الفكرية ، وقد تزعمها « لويس درزيو » . الذى التحق بهيئة التدريس بالجامعة الهندية ، فكانت له السيطرة التامة على طلابها الذين لم يدخروا وسعاً فى تشجيعه واعتناق آرائه .

وقد هاجمه الكثيرون لتطرفه الشديد فى نشر دعوته حتى اضطر أخيراً إلى الاستقالة من الجامعة .

وأنشأ صحيفة الهند الشرقية لتعبر عن آرائه ، وسايره تلاميذه ومريدوه فى حرية التفكير ونبذ التقاليد والعادات

الموروثة ، فكانوا يلقــون بعظام الذبائح فى بيوت الهنود ويأكلون خــبز المسلمين . واعتنق بعضهم المسيحية وبعضهم اعتنق الإسلام . ولم ترع هذه الحركة روح القومية الهندية أو تؤيدها بل كانت على العكس تنبذ كل ما يؤدى إلى تقوية هذه الروح .

وقد انتشرت بين أفرادها مبادىء الثورة الفرنسية والأفكار الحديثة التى كانت تغذيهم بها الآداب الأوروبية .

وكان طبيعياً أن تقــابل هذه الحركة بحركة أخرى كانت تترصد لهــا وتعد أخطاءها . وإن تحكمت فى الأدب والصحافة وأظهرت نشاطاً عظيما فى الحياة الاجتماعية ، حتى أن أكبر شعراء البنجــال فى ذلك الوقت ميشيل دات ، أعلن اسمه المسيحى فى سائر مؤلفاته .

وتصدى لهذا التيــار المزعج فى الهند « دابندرانات تاجور » والد الشاعر وكان صديقاً لرموهن روى ويقول فى ترجمته الشخصية : « كان لابد لى أن أقف هذه الحركة وأتصدى لها . فكنت أجوب أنحاء المدينة فى عربتى من الصباح إلى المساء ،

وأتصل بذوى الرأى والنفوذ من رجال كلكتا وأوعز إليهم بمحاربة هذه الحركة وأدعوهم أن يمنعوا أبناءهم من الالتحاق بمدارس البعثات التبشيرية وأن يؤسسوا لهم المدارس التى يتعلمون بها ، فألهبت نفوسهم هذه الدعوة » .

وإذا كان أتباع درزيو قد أعرضوا عن هذه الدعوة ولم تقابل حماسته الدينية بالعطف من خصومه . إلا أنهم كانوا يتلاقون معه فى شيء واحد هو حب الهند والرغبة فى النهوض بها .

وقد أخذ أتباع « درزيو » ومن خلفهم يستميلون الحركة القومية فيما بعد ويقربون وجهات النظر فيما بينهم وبين القوميين ، وانتشر فى البلاد نشاط فكرى متأجج وروح حماسية مشتعلة ولد فى إبان عنفوانها « رابندرانات تاجور » .

ظهر « دبندرانات » تاجور فأنشأ الحركة البرهمية وعمل فى سبيلها بجد لا يعرف الملل . وكان يقاوم الوثنية على اختلاف أنواعها مقاومة شديدة حتى بين أفراد عائلته . وقد نمت علاقاته برجالات الهند على مر السنين . ثم عاد إلى حياة العزلة والتأمل

وأطلق عليه أبناء كلكتا اسم المهارشى ، أى الريشى العظيم ، والريش هم طائفة حكماء الهند الأقدمين وعلى الرغم من المحاولات الكثيرة لاستمالته إلى الناحية الأخرى فانه كان ثابتاً على معتقده .

وقد أثرت هذه العقيدة على أبنائه وفى مقدمتهم رابندرانات تاجور الذى اقتدى بوالده فى المحافظة على القومية الهندية ومحاربة الوثنية بقوة لا نظير لها .

ويختلف المحافظون المتزمتون من أبناء الهند وأسرة تاجور ويطلقون عليهم « بير على[1] براهمن » لأنهم يؤاكلون المسلمين ويخالطونهم . ويعدونهم من المنبوذين . وعلى الرغم من هذا الزعم فقد كان اسم « طاكور » ومعناها (السيد العظيم) يطلق عليهم من طبقات الهند كافة . وما زالت أسرة المهارشى تحارب الوثنية وفى مقدمتهم شاعر الهند رابندرانات تاجور الذى كان أعدى أعداء النبذ والتفرقة بين البرهميين .

* * *

---

(١) بير كلمة فارسية معناها قديس او ولى .

لقـــد كان القرن التاسع عشر عهد نشاط الحركة الفكرية والأدبية فى الهند وكان النصف الأخير منه يعد بحق عهد النهضة البنجالية التى تمتد جذورها إلى « روماهن روى » وظهر ميشيل دات بملاحمه التى كانت قنطرة إلى المسرحية الشعرية قبل ظهور النثر الفنى وكتب قصة طويلة أسماها المرأة الأسيرة ، وكانوا يسمونه فى الهند « ملتون » اللغة البنجالية كما كانوا يدعون « نابن شندرا » بيرون الهند .

وقد ظهر تاجور متأثراً بهذه الحركات وهضمها جميعاً وزاد عليها من ثقافته وموهبته الفكرية ، ما جعله يبز من تقدموه فى عالم الأدب والفكر وقد قاوم الرجعية مقاومة شديدة مع تمسكه بقومية بلاده .

نشأة تاجور

إذا كان للأسرة تأثير فى حياة الشاعر فقـــد كان لأسرة تاجور ونشأته فيها أيما تأثير فى حياته وكذلك فى نزعته الأدبية والفكرية .

فقد ولد شاعرنا فى كلكتا فى السادس من مايو ١٨٦١ حيث كان النزاع على أشده بين دعاة الحركة القومية وعلى رأسهم « دبندرانات تاجور » والد الشاعر وأسرته وحركة البرد التى بعثها « درازيو » وأتباعه ومست هذه القومية فى صميمها .

وكان منزل تاجور من المنازل البارزة وسط المدينة فتوشجت الصلات بين أبناء الأسرة وبين المجتمع ، وكان آل تاجور يجدون فى أبهائه وأفنيته الواسعة بغيتهم من الراحة والخلوة وحياة العزلة والتأمل .

وكان تاجور فى طفولته منطوياً على نفسه ميالا إلى الوحدة ،

ويرقب عن كثب أعمال أبناء وطنه من المحافظين المتمسكين بالوثنية بحرقة وألم .

أما والده المهارشى فقد كان دائم السفر والتجوال داخل البلاد وخارجها وقد ترك رابندرانات وهو أصغر أبنائه السبعة لعناية الخدم بعد وفاة أمه فى العاشرة من عمره . ولاحظ ما عليه ولده من ميول أدبية واجتماعية فاصطحبه معه فى رحلاته فى أنحاء الهند فعرف الشيء الكثير عن بلاده وما فيها من عظمة وجمال .

وقد عاد رابندرانات تاجور إلى كلكتا بعد أن رحل عنها إلى المزارع والحقول ، وقد درس الكثير من كتاب « الجوفندا » أو رسول السحاب « لكاليداسا » وتعرف الشيء الكثير عن شعراء السنسكرتية وبدأ ينظم الشعر . . ويقول فى ذكرياته : « لقد فقدت أمى وأنا طفل صغير ربما كنت فى العاشرة أو الحادية عشرة من عمرى وصحبت والدى فى رحلة إلى تلال دلهوسى عن طريق « أمرتسار » وكانت هذه أول معرفتى بالعالم الخارجى ، وقد تأثرت كتاباتى بهذه الرحلة بغير شك . وفى الشهور الثلاثة التى صحبت فيها أبى تعلمت على يديه الإنجليزية والسنسكرتية فى دروس منتظمة .

وقضيت معه أمسيات أدرس فيها النجوم والفلك . وتذوقت طعم الحرية فى أحضان الطبيعة الطلقة ومن أجل ذلك تركت المدرسة عند عودتى ، ولقد كفرت عن ذلك فأنشأت مدرسة فى شيخوختى وأنا حريص على أن ألازمها وأحرص كذلك على أن يلازمها تلاميذى » .

أجل لقد خاب أمل تاجور فى البداية منذ التجربة الأولى ، ونفر من النظام المدرسى . ودرس دراسة خاصة بمنزله على يد أساتذة أكفاء .

وقد أفاد من إقامته بذلك المنزل الفسيح الذى يضم أسرته وما يكتنفه من الهدوء والسكينة . كما كان لأيام الفراغ التى لا تقطعها الواجبات المدرسية شأنها فى نشأته وتفكيره وتأملاته وسعة اطلاعه .

وجاء دور الرياض والأحراج والأنهار الجارية ، فقد انتقل تاجور خارج المدينة فترة من الزمن لتفشى بعض الأمراض بها وهنالك ألقى عن كاهله أعباء الدراسة التى كان يتلقاها بمنزله على أيدى معلميه ، ليتلقى دروس الطبيعة من منابعها الصافية وفى هذا يقول :

« كنت أشاهد كل يوم ميـاه الجانج تتدفق فى مد وجزر ، والسفن العديدة ذات الشراع تسير فى مجراها ، والظلال تنتقل من الغرب إلى الشرق ، فإذا جاء المساء تفجرت دماء ذهبية اللون من صدر السماء . وقد يظل الغيم فى مكانه من الصباح إلى المساء فتبدو الغابات على الضفة الأخرى فى حلة من السواد ، وتتحرك الظلال القاتمة على صفحة النهر ثم تهطل الأمطار هاتفة بجلجلة فترطب الأفق وتنسحب الغيوم مودعة بالدموع . فيبتلعها النهر فى لجته . ثم يندفع الهواء الندى من أساره فتهتز أوراق الشجر فوق الرؤوس » .

وهكذا كانت حياة تاجور إلى جانب النهر مبعث سرور وبهجة وأمل . وقد تفتحت أمامه أبواب الطبيعة ليلج منها عوالم السكون ويصغى بأذنه إلى همسات الغيب . ويعقد صلات الحب إلى الأبد بينه وبين خالق الوجود . وكان لهذه الإقامة تأثير لا يقدر فى حياته الشعرية .

وقد أقام تاجور فيما بعد مستقراً له فى الغابة يأوى إليه من آن لآخر وفيه يقول :

لا تبنى الأبراج الشامخة فى الأرض التى تخيرتها

والمروج المعشوشبة على الطريق تجرى فيها المياه الصافية
والنحل تأوى إلى أكنة أكواخها المزدهرة بأزهار العاطفة
وينطلق الرجال إلى أعمالهم باسمين فرحين
ويعودون إلى ديارهم فى المساء ،
يرتلون الألحان : فى الأرض التى تخيرتها

* * *

النساء يجلسن فى ظلال رحابهن فى رائعة النهار
يترنمن بالأغانى ويدرن عجلات نسيجهن
والمزامير التى يحملها الرعاة تتصاعد أصواتها
على سوق الحصاد ، فتنقل البهجة إلى قلوب الباعة
وهم يتغنون فى طريقهم تحت الظلال المتألقة ،
بالغابة المتأرجة بالعبير
فى الأرض التى تخيرتها

* * *

ويمر أصحاب التجارة ببضائعهم على طول النهر
ولكنهم لا يرسون بسفنهم على هذه الأرض

ويسير الجنود بالأعلام الخافقه
ولكن لن يقف الملك بعربته
والسائحون الذين يردون من بلاد بعيده
ليستريحوا فيها برهة من الزمن
يذهبون عنها ولا يعرفون شيئا
عن الأرض التي تخيرتها

* * *

هينا لا يتزاحم الناس ولا يتدافعون في الطريق
فأقم دارك أيها الشاعر في هذه الأرض
واغسل قدميك من تراب رحلتك الطويلة
غن على قيثارك فإذا انتهى النهار
تمط وارقد فوق الحشائش المخضلة ،
تحت نجوم السماء : في الأرض التي تخيرتها

كانت للبنجالية حياتان : حياة البنجالية إلى جانب الجانج ، وتلك حياة الغابات والأنهار والشواطىء الجميلة ، وهى حياة عزلة وانفراد وتأمل وعباده . وكانت مرام العلماء والأنبياء والقديسين في الأزمان

الغابرة ومنها تنبع البنجالية الأصيلة والأساطير القديمة فى الهند وتنبعث ذكريات الماضى البعيد .

والحياة الثانية : حياة المدينة حيث ينبعث النشاط ويتدفق تيار الحضارة وينكشف بؤس الشعب ونعيمه وقوته وضعفه وعلمه وجهله ، وتتلاقى الحركات الفكرية وتفترق ، وتتفق المذاهب الدينية وتختلف ويرضى الشعب ويأبى وتثور النفوس وتهدأ .

ولهاتين الحياتين أثرهما فى حياة الشاعر . . فقد أضفت الأولى عليه حكمة وروعة . وبعثت فى نفسه روح الشعر والخيال . فشد أوتار قيثارته على تلك الأنغام التى تنبعث من حفيف الأشجار وخرير المياه . وصقل مرآة ذهنه من صفاء ذلك النهر الكبير الذى أقام إلى جواره .

وهزت الثانية مشاعره الوطنية وأفعمت نفسه بالأسى والشجن على ما يعانيه أبناء وطنه . فعناه أمرهم وأخذ يدرس حالهم عن كثب ويبحث عن مصادر آلامهم فى اهتمام ونصب . وقد آلى أن يكرس حياته لخدمتهم .

ومن هذين المعينين نشأت عبقرية شاعر الهند . فرضع لبان

الشعر من ثغر الطبيعة على شاطىء الجانج وفى ظلال الغاب . ودرس حياة الإنسان فى تلك المدينة العامرة ذات المجد التليد ، التى لم يفتر فيها نبض الحياة على مر السنين ، ورغم تقلب الأزمان والأحوال .

* * *

وقد ساعد على بث روح الشاعرية عند الشاعر الناشىء ، دراسة بعض الأشعار القديمة وأهمها « الفاشناقا » التى قوت الموهبة الموسيقية فى شعره وقد قرأها فى الخامسة عشرة من عمره .

ويقول تاجور فى أحاديثه : « وجدت فى الفاشيناقا روحاً موسيقية بديعة ، وصوراً ناصعة متألقة . فكان لحظى أننى تلقنتها فى الوقت الملائم فعلمتنى جمال الأسلوب وأرشدتنى إلى الكثير من أصول النظم » .

وبدأت حياة تاجور الأدبية بنشر بعض مقطوعات وأغان شعرية ، تبعها بنشر قصة « الزهرة البرية » وتشتمل على ستة فصول وقد كتبها سنة ١٨٧٩ وظهرت له فى صحيفة البهارتى من صحف الهند الأولى « قصة شاعر » وكان هذا أول عمل يظهر له فى كتاب مطبوع وقد قام بطبعه أحد أصدقائه سنة ١٨٧٨ .

ثم تتابعت كتاباته وكانت البهارتى تحفل بنشر أشعاره ومقالاته وقيل فى ترجمته إنه صدر له فى عدد واحد من البهارتى المقالات التالية « أدب السكسون والأنجلو سكسون ، بترارك ولورا ، دانتى وشعره وجيته » وكان فى السابعة عشرة من عمره وبلغ ما نشر من الشعر قبل الثامنة عشرة من عمره سبعة آلاف سطر .

وقد أفاد الكثير من رحلته إلى انجلترا التى أبحر إليها لأول مرة سنة ١٨٧٧ ولم تطل إقامته بها حيث رحل عنها بعد أربعة عشر شهراً درس خلالها الكثير من عادات تلك البلاد وأخلاقها ، وتعمق الكثير من آدابها وأشعارها ، وعاد إلى وطنه وقد شغل فكره بما رآه من حرية الفكر واحترام الرأى فى أوربا ، والحياة المحافظة المثقلة بقيود التقاليد فى بلاده . وأخذ يعمل على تحطيم هذه التقاليد البالية وينشد لبلاده حرية الرأى والتفكير والتحرر من نير العبودية . وقد اتجه تفكيره إلى امتزاج الحياة الفكرية فى أوربا بالحياة الهندية ، ونقل ثقافة كل من البلدين إلى الآخر وعمل الكثير فى هذا السبيل . وطالما ردد قوله « أن الأمة لا تتقدم إلا بتقدم لغتها وآدابها » .

حياته الأدبية

مسرحياته وشعره

فى خريف سنة ١٨٧٧ رحل تاجور إلى بلاد الأنجليز للدراسة بكلية بريتون واستقبل من طلابها وأساتذتها استقبالا يفيض بالعطف والمحبة . إلا أن شاعرنا الذى لم يطق صبراً على التعليم المدرسى فى بلاده ، كان أكثر زهداً فيه ببلاد الأنجليز وآثر أن يقتحم أبواب العلم والمعرفة بنفسه ، ويرد حياض الأدب كيفما يشاء وتشاء طبيعته . فالنفس الشاعرية تكره القيود فى مجال التعليم ولا ترضى لنفسها الطريق الذى يفرضه عليها أحد .

وقد أفاد تاجور من دراساته الشخصية لنواحى الأدب على اختلافها وقرأ فى هذه الفترة الكثير من أشعار الأنجليز ، وامتزج بسائر الأوساط الأدبية والعلمية والسياسية ، واطلع على الكثير من نواحى النشاط الاجتماعى والخلق فى تلك البلاد .

وعاد إلى وطنه يحمل إليه ذخيرة من أبحاثه وأشعاره . وبدأ ينشر سلسلة مقالات فى مجلة البهارتى التى يرأس تحريرها « دوشندرانات تاجور » أخو الشاعر تحت عنوان « أحاديث عائد من أوربا » . وقد أودعها الكثير مما شاهد فى رحلته من أسباب الرقى والمعرفة فى البلاد الأوربية ، وقارن ذلك بما يعانيه أبناء وطنه من الجهل والفاقة والتمسك بأهداب القديم البالى ، الذى يقعدهم عن السير فى الميادين الفسيحة التى استحدثها الغرب لأبنائه ، على أنه لم يفته فى هذه المقالات أن ينعى على الغرب انغماسه فى الملذات ، وتحرره من الأخلاق القويمة التى يتمسك بها الشرق منذ أقدم العصور . . وقد انبرى أخو الشاعر رئيس التحرير يساجله الرأى ، ويناقشه بعض الأفكار التى اعتبرها فى رأيه ماسة بالقومية الهندية .

ثم اتجه الشاعر مرة أخرى إلى قيثارته فشد أوتارها ليسمع الهند بل ويسمع العالم أجمع أبدع الأغانى وأرق النغمات ، فى مقطوعات شعرية مؤثرة تحت عنوان « أغانى المساء » . و « أغانى الصباح » . وكان لهذه الأغانى أثر كبير فى الهند ، ونالت إعجاب الكثيرين من قراء الأدب ونقاد الشعر ، حتى أن « بنكيم » وهو من شعراء الهند

المشهورين شاهد تاجور فى حفل كبير كان مقاماً لتكريمه هو فاستدعى تاجور أمام المحتفلين به وقال « هذا أولى منى بالتكريم » وخلع الأكاليل من عنقه وقلد به الشاعر صاحب « أغانى المساء » .

وقد أخذ تاجور يغـــذى الحركة الأدبية فى الهند بأشعاره ومسرحياته العديدة ، وقد فاضت الصحف بآيات قلمه التى لا تقف عند حد من الروعة والأبداع . وترجم شعره ونثره إلى سائر اللغات الحية ، ومثلت مسرحياته فى كثير من بلاد العالم المتمدن .

ويقول أحد نقاد تاجور « قد تشاهد مسرحيات تاجور فى شتى أنحاء العالم ، ولـكنك لا تجد فيها ذلك السحر الذى تجده عندما تشاهدها فى الهند نفسها على أيدى مخرجين وممثلين من أبنائها ، بل ومن أبناء أسرة تاجور وأصدقائهم الأقربين » .

وقد مثلت فى الهند مسرحية « عيد الخريف » وكان من بين ممثليها غلام صغير أخذ بمشاعر الحاضرين حين مثل دور السجين . ذلك الغلام الصغير هو نجل الشاعر . ومثل دور الملك فى هذه الرواية « جاجندرانات تاجور » وهو مصور بارع لا تقل براعته فى التمثيل عن براعته فى التصوير .

على أن كثيراً من أبناء وطنه لا يضعون مسرحياته فى المكان الأول . وقد هاجمها بعض النقاد من البنجال لاتسامها بالروح الأوربية وبعدها عن البنجالية . وفى ذلك عين الشطط إذ أن الشاعر كان يرى ضرورة الجمع بين الثقافتين ، والأفادة بكل ما يعود على الهند بالفائدة من الآداب الأوربية .

ولـكن هؤلاء النقاد لم يقبلوا هذه الروح الجديدة التى فرضها عليهم تاجور وقد قال بعضهم : إن البنجالية لم تهب تاجور لأوربا ولم تهب أوربا تاجور للبنجال ، وأن الاوربيين بثنائهم على تاجور إنما يثنون على أنفسهم » .

وحمل بعض المتزمتين على تمثيلية شترا وهى من أبدع التمثيليات التى أخرجها تاجور ويقول فيها « لقد ألفت مسرحياتى جميعها فى الشتاء عدا شترا فقد ألفتها فى الربيع » ولا جرم ففيها فتنة الربيع وروائعه ! ! وأخذوا على الشاعر حشد روايته هذه بالأوصاف الحسية . وأجاب الشاعر على هذا النقد بأن الشعر لا تعيبه هذه الأوصاف وقد سبقه شعراء العالم إلى ذلك ولم يوجه إليهم هذا النوع من النقد .

والحق أن تاجور أنقذ البنجالية وأحياها ، وخلع عليها الروعة والجمال . وإذا كان الشاعر قد تأثر بالآداب الأوربية والأدب الانجليزى خاصة ، فإن تأثير الشعر الأنجليزى عليه كان أقل بكثير من تأثير الشعر الهندى ، والحياة الهندية التى تراها ممثلة فى سائر دراماته وأشعاره .

وقد اعتاد عشاق شعره من الهنود أن يسموه تلميذ « الفاشيناقا » والحقيقة أن تاجور قد استفاد من كل ما كتب بالبنجالية والانجليزية ولم تكن أغانيه ومسرحياته للهند وحدها ولكنها كانت للعالم أجمع .

كانت قراءة تاجور للشعر الانجليزى كثيرة . وأكثرها كان فى عهد الصبا وأيام الشباب ولم يكن يقف فى قراءاته عند حد فقد كان يرتاد أرضاً مترامية الأطراف ويسبح فى تيارات متعددة المناحى والاتجاهات .

وقد قسموا مسرحيات تاجور إلى ثلاثة أقسام : المسرحيات القديمة كالضحية وشترا ومالينى وليست هذه المسرحيات من النوع الرمزى ، وتعتمد فى الغالب على الشعر .

والمسرحيات الصغيرة التى تشتمل على قصص البطولة وأمجاد

التاريخ . وتتألف من مقطوعات شعرية قصيرة ثم المسرحيات النثرية . وتسيطر الفكرة وجمال الأسلوب على النوع الأول والثانى أما النوع الثالث وهو المسرحية النثرية فقد تحررت من كلتا الطريقتين . إذ أنها تعتمد فى الغالب على فنون الرقص والموسيقى والمناظر الخلابة التى تعبر عن معنى المسرحية كما تعبر عنها الكلمات ومثل هذه التمثيليات لا تظهر قيمتها للقارىء بقدر ما يظهر تأثيرها لمن يشاهد تمثيلها .

وقد اشتهرت تمثيليات تاجور ، وبلغت شأواً كبيراً وترجمت إلى كثير من اللغات ومثلت خارج الهند فى أنحاء العالم المتمدن .

ومما يجدر بالذكر ونحن نتكلم عن تمثيليات تاجور . أن شخصياتها أقرب إلى النماذج الأنسانية منها إلى الشخصيات المنفردة . فنحن لا نستطيع أن نقول إنه خالق شخصيات كشكسبير مثلا . إلا أنه يخلع على شخصياته حلى من الجمال وينطقها بالفريد من رقيق المعانى وسحر البيان .

وإذا كان تاجور يعنى بالتجميل والتنميق فى تمثيلياته فهو فى أغانيه ومقطوعاته الشعرية أشد عناية باللفظ يصقله والعبارة يطرزها بالحلى والصور البديعة . إلا أنه فى كل هذا كان يساعد على إظهار الحقيقة ولا يخفيها ، ويبرز الفكرة ولا يطمسها . وأسلوبه

الكتابى والشعرى يعد من أرق الأساليب . وقد شغف تاجور بحب الطبيعة ونظم الكثير من الأشعار فى وصفها وتغنى بآمال بلاده وآلامها وكان للدين شأن كبير فى كثير من أشعاره ، وعلى الأخص جيتنجالى التى ترجمها الشاعر بقلمه إلى اللغة الانجليزية ترجمة تعادل الأصل البنجالى أو تفوقه وقدمها الشاعر الإيرلندى و . ت . بيتس . وكان أكثر إعجاب تاجور بشعر شيللى وكينس وكان يقرأ شكسبير ويتعشق أدبه . ومما يرويه أنه كان له مرب يلقنه الأدب الانجليزى فى بيته فى كلكتا وهو صغير ، وكان هذا المربى إذا أراد أن يعاقبه أغلق عليه باب الحجرة وما يزال به حتى يترجم رسالة من الشعر أو باباً من أبواب الأدب . وقد ترجم فى حجرته على يدى مربيه ، مولد إله الحرب لكاليداسا ومكبث لشكسبير ...

لم يكن تاجور فيلسوفاً بالمعنى المعروف عند العلماء من هذه الكلمة ، ولكنه كان شاعراً وفناناً . أما حكمته فقد كانت تصدر عن عقيدته كرجل أخلاق وإنسان متدين . وكانت لشخصيته جاذبية عظيمة تستهوى كل من يراه ، ولأحاديثه ومحاضراته أثر السحر عند سامعيه .

* * *

وقد امتحن الشاعر بوفاة زوجته عام ١٩٠٢ وتلاها موت ابنته بعد ذلك بعامين ، ثم موت ابنه الأكبر . وكان مصابه فيهم عظيماً إلا أنه كان يتجمل بالصبر والإيمان ، ولم يظهر عليه أى أثر من الجزع أمام الجماهير التى كانت تحتشد لتعزيته من سائر أنحاء الهند . وكان فيما ابتلى به ، ذلك الرجل الهادىء الوقور الثبت الجنان . وساعده على ذلك إيمانه القوى وعقيدته بأن الموت ليس نهاية فى حد ذاته . إلا أن هذه الآلام قد وجدت منفذها فى شعره ، وأغانيه وأوجه نشاطه المختلفة .

أيتها المرأة أعيدى الجمال والنظام إلى حياتى
كما نقلتها إلى بيتى وأنت على قيد الحياة
وأزيلى الأتربة المتراكمة من لحظات حياتى
إملأى الآنية الخالية ، وأصلحى كل فساد
وافتحى باب مزارك وأوقدى الشمعة
ودعينا نلتقى فى صمت أمام الله .

* * *

لمامت فى كل شىء من حولى
وزلت من آلاف الكائنات التى فى الحياة

لتولدى على أتمك فى أحزانى
أحسست أن حياتى تـــكاملت
وصار الرجل والمرأة فى نفسى
شيئاً واحـــدا إلى الأبد

وقد انتقل نشاط تاجور إلى الأصلاح الاجتماعى ، وساهم فى كل حركة ترمى إلى رفع شأن بلاده . ثم أنشأ مدرسته النموذجية وأنفق عليها أموالا طائلة ، وكان يقضى كثيراً من أوقاته فى مباشرة أعمالها بنفسه ويقول فى حديث له .

« لقد كفرت عن تركى المدرسة أيام طفولتى بانشاء هذه المدرسة فى شيخوختى » .

وطاف تاجور أنحاء العالم ينشر مبادئه ، ويعلن معتقداته التى ترفع من شأن الهند بين مختلف الأمم . وكان يوجه الضربات القاسية إلى الاستعمار فى عقر داره ، ويندد بجشع الغرب ونهمه وانتهاكه حرمات الانسانية ، باضطهاد الأمم الضعيفة التى لا تمتلك الحديد والنار .

وقد دعى لألقاء محاضرات فى جامعة هارفرد بأمريكا ، فاستقبل فيها بحفاوة بالغة ، واجتمع لسماعه مع طلاب هذه الجامعة خاصة

العلماء والأدباء . . وكتبت عنه سائر الصحف والمجلات الأدبية كمحاضر وكإنسان لم تر نظيره تلك البلاد . وقد جمعت هذه المحاضرات فى كتاب السادهانا الذى قام بترجمته إلى اللغة العربية مؤلف هذا الكتاب .

* * *

وزار تاجور انجلترا وفرنسا والدنمرك وألمانيا والسويد وطاف بإيطاليا وروسيا واليابان وكان يلقى أحاديثه ومحاضراته القيمة فى سائر هذه البلاد فتقابل بالاستحسان والإعجاب . وكان ينزل ضيفاً على حكوماتها التى كانت تضع تحت إمرته كل وسائل الراحة وتخصص له ولمرافقيه وسائل الانتقال بالسيارات والطائرات .

وزار مصر ١٩٢٦ فاستقبل فيها بحفاوة بالغة ، وألفت اللجان لتكريمه . وكان على رأس مكرميه الزعيم الخالد سعد زغلول وقد أفاضت فى الكتابة عنه سائر الصحف والمجلات ، وعلى الأخص صحيفة البلاغ الأسبوعى التى نشرت البحوث الضافية للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد عن الضيف الكريم وأدبه وآرائه فى الحياة وقد عرض فيها لكتاب السادهانا فقال .

«ولست أريد أن ألخص السادهانا لأن الكتاب صلاة والصلوات لا يجوز فيها التلخيص والاقتضاب ، ولست أريد أن أنقد آراءها لأن هذه الآراء إن هى إلا زهرة روحية والزهرات لا تطيب على النقد والتحليل . ولكن أدير سمع القارىء إلى نغمات من تلك الصلاة وألقى ببصره على منظر من تلك الزهرات وأومىء له إلى داخل المحراب أو ناحية الروضـــة وهو بعد ذلك وما يشاء من اكتفاء بما رآه أو اتجاه إلى طلب المزيد» .

ثم أفاض فى الكلام والبحث فى الكتاب القيم الذى يشمل خلاصة حكمة الهند كما أدركها نساك الهند وشرحها قلم الشاعر بأسلوبه الرائق وخياله الورع المتخشع .

وأقامت لجنة الاحتفال حفلا كبيراً فى مسرح حديقة الأزبكية أمه الكثير من المصريين ورجال الجاليات الأجنبية ، وقد رفع الستار عن شاعر الهند فى زى أقرب إلى زى رجال الكهنوت ، وحيا الحاضرين بالتحية الهندية بضم يديه إلى فمه ، ثم تكلم فى الحفل بصوت موسيقى بديع . وشرح بعض آرائه وآراء الهند فى شئون الحياة وتلا مقطوعات قيمة عن الطفل من كتاب كان فى يده لعله كتاب «الهلال» ثم عاد فألقى هذه المقطوعات باللغة البنجالية للفارق العظيم بين أنغامها

فى اللغتين . وكان فى المرة الأخيرة يرتل المقطوعات بطريقته الغنائية المعروفة .

وانتقل من مصر إلى اليابان وكتب على ظهر الباخرة أثناء رحلته إليها كتاب « طيور شارده » نحا فيه نحو شعراء اليابان فى مقطوعاتهم الصغيرة التى تحمل كبار المعانى والأفكار ومنح تاجور جائزة نوبل سنة ١٩١٣ واحتفل به أبناء وطنه احتفالا لم يقدر لأحـــد من قبله . وأقاموا له المهرجانات والزينات . وقد اعتبروا هذا التقدير لتاجور ، تقديرا للهند وشعبها أجمعين .

آراؤه ومعتقداته

كان العالم فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين يرزح تحت عبء ثقيل من أوهاق المادية وأثقالها . وقد اتسعت رقعة الخلاف بين أمم الغرب على التملك والسيادة ، وتنافست هذه الأمم فيما بينها على السطوة والجبروت ، وتسابقت إلى حشد قواتها وتزويدها بالأسلحة المهلكة الفتاكة . وكانت كل أمة تقف من الأخرى بالمرصاد وتنظر إلى الساعة السانحة لتمد إليها مخالب البطش ، وتنتزع منها عناصر السيادة والقوة ، وتبزها فى عالم التقدم المادى والفخار الزائف الذى يقوم على احتجان الثروة العالمية ، واكتساب الأراضى الغنية فى شتى أنحاء العالم .

وكانت الشعوب أفرادا وجماعات تندفع فى هذا التيار المادى الذى تندفع فيه حكوماتها ، فلا ينظر الانسان إلى الانسان كما ينظر الأخ إلى أخيه ، فيحب له مايحب لنفسه ويكره له مايكره لها ، بل كان

كل فرد فى المجتمع وحدة مستقلة ومملكة قائمة بذاتها ، يعمل كما تعمل هذه الأمم من تنافس وراء المادة ، وحب للأثره ، واندفاع فى تيار القوة وتنازع البقاء .

وقد تغلب حكم القوى على الضعيف بين الأشخاص كما تغلب بين الدول . فاستعبد الضعفاء للأقوياء ، وتسلط الأغنياء على الفقراء . وقد أخذ ظل الروح يتقلص من عالم اشتعلت فيه نيران الحقد والأنانية وتفنن فيه أصحاب النفوذ والقوة فى نشر سلطانهم بشتى الوسائل .

وظهرت بعض المذاهب الهدامة فى غيام هذا الجو القاتم ، تنشر آراءها بدعوى محاربة الفقر والجوع والمرض بين الأفراد . ولكن هذه المذاهب كانت أخطر على الإنسانية مما كانت تعانيه .

فهى تقوم على المادة ولا شىء سوى المادة والمادة . هى أصل البلاء .

وتعددت الآراء وكثرت الوصفات ، لعلاج هذه الحال . إذ أن الإنسانيه على الرغم من اندفاعها فى هذا التيار ، كانت تشعر بانحرافها وخطورة ما هى منساقة إليه .

فى غمار هذه الحركات بزغ نجم متألق من سماء الشرق ، مشرق

الشموس والنجوم يرفع راية السلام ، ويدعو إلى المحبة والإخاء بين الأمم والأفراد .

ذلك هو رابندرانات تاجور شاعر الهند وحكيمها . فدعا إلى مذهبه الذى هو صورة جديدة من آراء قدماء الهنود الذين عاشوا فى عالم التأمل والسلام . فناقش فكرة القومية الأوربية القائمة على الانفصال والأنانية وحب التملك ، وعرض للمدنية التى تقوم على هذا الأساس ، فأبان خطأها وبعدها عن طبيعة الحياة لأنها تقوم على فكرة القوة المادية والاعتماد على المادة يظلم الروح ويقوى تهم النفوس ، ويحيى فيها الشعور . ورأى أن هذه المدنية التى تقوم على الحديد والنار ، تفصل بين الإنسان والإنسان وبين عالم الجسد وعالم الروح .

فنحن فى الحقيقة نعمل فى هذه الدنيا لا لكى نمتلك الأشياء ونستولى عليها ولكن لكى نحبها وتفهمها وتتصل بها ، وإذا كنا نقدر الجمال فيها فأنما نقدره لكى تندمج فيه ، وتدخل به ومعه فى رحاب الكون . أما فكرة انتزاعه من الكون فهى فكرة أساسها الجشع المادى ولا تعود على الإنسان بالسرور الذى هو غاية الإنسانية . وإنما تعود عليه بالخسارة والوبال . ولو تأمل الغربيون فى فلسفتهم

لعلموا أنها كفلسفة الهند تقريب بين الأشياء ، ولعرفوا أن السرور هو غاية كل علم فى الوجود .

ولكن العلم الغربى القائم على المادة فحسب ، علم غايته الامتلاك والعلم الهندى غايته الاتصال بسائر الأشياء . والأول يؤدى إلى الجشع والأنانية ، والثانى يؤدى إلى الغبطة والسرور .

ويرى تاجور أن الإنسان يستطيع أن يفكر لأن أفكاره منسجمة مع سائر ما فى الوجود ، ويفيد من الطبيعة لأن قواه مندمجة فيها منسجمة متآخية معها .

والغرب يحتقر الطبيعة ويعتقد أن من واجبه التسلط عليها . ويرى أن كل ما ارتفع مستواه فى الحياة منسوب إلى الإنسان . وكل ما هبط فيها محسوب على الطبيعة .

فالإنسان يعمل فى الحياة ويكد ويكدح ليغالب الطبيعة ويسيطر عليها ، كأن الطبيعة عدو جبار خلقنا لنقاومه ونحد من قوته . .

والحقيقة أن الإنسان والطبيعة جزء لا يتجزأ ، وأننا لا نستطيع أن ندرك الطبيعة ونحن على خصام معها . ولا نستطيع أن نفهم شيئاً من الأشياء إلا إذا تأملناه واندمجنا فيه . فنحن والطبيعة

كل شامل ولا نستطيع أن نتفهمها ونحن منفصلين عنها .

والسبيل الوحيد للوصول إلى الحقيقة هو التغلغل فى صميمها وتبادلنا عواطف الحب والإخاء مع الحياة ، وكل ما فى الحياة . والملاءمة بين روح الإنسان وروح الحياة هى الحكمة العليا وغاية الغايات .

ومن ثم كان تاجور من أكبر الداعين إلى الإخاء والوئام ونشر راية السلام . وإن كان فى دعوته لا ينكر حق تنازع البقاء . إلا أنه يرتفع به عن عوامل الأثرة والبغضاء وأسباب الحقد والحسد مما يؤدى إلى التنافر والتخاصم ويقضى على أواصر الإخاء . ويرتفع به إلى مبادىء الإنسانية السامية التى تربط بين سائر الناس .

* * *

وقد كان تاجور قوياً فى التعبير عن آرائه ودعمها بالأمثلة والأسانيد وكان لأسلوبه الكتابى ولشخصيته أثر لا نظير له فى بث هذه الدعوة . وقد طاف بلاد العالم ينشر هذه الآراء التى تقوم على المحبة والسلام بين أقوام بلغت فيهم المطامع المادية أقصى مداها ، وانتشرت بينهم عوامل الكراهية والبغضاء . فلاقت أثراً

كبيراً فى النفوس التى كانت تتوق إلى مورد جديد ينأى بها عن مواردها التى كدرتها عوامل الأثرة والشقاق ، المنبعثة من تلك الروح المادية التى سيطرت على العالم ، وقطعت ما بينه وبين الحياة من روح التآخى والوئام .

وقد منح تاجور جائزة نوبل للسلام كما قدمنا فى الفصل السابق نتيجة ما أبلى فى هذه الدعوة الكريمة التى استقبلها العالم بالرضا والإعجاب ، ويقول فى ذلك :

« لقد أولانى هذا العالم رضاه فتقبل منى الدعوة إلى الأخاء والسلام . ولن تأخذنى فى ذلك العزة القومية ، أو التفوق النوعى أو الإحساس بالزهو والمجد ، فإنى بذلك أكون عديم القيمة قليل النفع » .

وليس معنى ما تقدم أن تاجور يدعو إلى حياة التأمل والعزلة حيث الحياة السلبيه . ولكنه ينكر الأنانية التى تعزل الانسان فى العالم وتصيبه بفقر فى الروح والوجدان ، أهون منه فقر الفقراء وعوز المعوزين . ويقول فى السادهانا :

لقد حذرت من يستمعون إلى وأعيد تحذيرهم مرة أخرى من

أن ينخدعوا بذلك الرأى القائل بأن معلمى الهند ومرشديهم يشيرون إلى نبذ الحياة والنفس حيث الفراغ والحياة السلبية .

فقد كان مقصدهم تحقيق الروح أو بعبارة أخرى الوصول إلى الحياة بالمعنى الصحيح . وقد كان المسيح يعنى هذا حيث قال :

« ما أسعد الودعاء فأنهم سيرثون الأرض . » . وإنه ليعنى هذه الحقيقه وهى أن الإنسان حين يتخلص من كبريائه يصل إلى ميرائه الحق . وليس عليه أن يناضل بأكثر من هذا ليحتل مكانه فى الحياة فالخلاص أمامه حيث سار بحق روحه الخالده » .

وتتحقق الحياة المثلى عند تاجور بالحب ، والحب هو سرور الإنسانية ولا تبلغ الروح مرتبة الحب ، إلا إذا اتحدت وشابجها بكل ما فى الكون ، واندمجت فى الطبيعة التى تندمج بها فى اللانهائية وهى منتهى مايصبو إليه الإنسان

وتتحقق بالعمل فالعمل هو المظهر الخارجى للروح . والروح لا تعيش على إحساسها الداخلى فحسب بل تعيش كذلك لإظهار مكنوناتها ولا يكون ذلك إلا بالعمل .

« وفى ديوان الطبيعة إدارات عديدة تناط بها أعمال لا يدركها

الحصر . فالزهرة البديعة التى ترتدى حلل الجمال وتنفح أريجها كالفتى الأنيق ، ليست فى الحقيقة كما تبدو بل هى أقرب شبهاً بالعامل الذى يقضى وقته فى الشمس والمطر ليقدم حساباً عن عمله ، وليس لديها متنفس للمتعة والمرح فإذا ولجت هذه الزهرة نفسها قلب الإنسان ، ذهب عنها مظهر العمل ، وأصبحت رمزاً للراحة والفراغ . وهكذا فإن النشاط الذى لها فى الخارج ، هو التعبير الصحيح عن الجمال والسلام اللذين لها فى الباطن » .

فحكمة تاجور لا ترمى إلى التجريد والسلب . وإذا كانت تقوم على التأمل وإنكار الجسد فإن لذلك نتائجه العملية فى حياة الإنسان . فإن التأمل وصفاء الروح يرفعان من شأن الإنسان ، ويقتلان فيه الشهوات والأنانية ويسموان به إلى النهاية العليا حيث يسعد العالم أفراداً وجماعات .

وقد يشعر الإنسان بمضاضة لضعفه أمام الحياة ، وخضوعه لقوانين الضرورة . ويظل فى نزاع لا حد له بين اللانهائى فى نفسه والمحدود فيها .. فالأول يدفعه إلى طلب الكمال والأخير يقصر شأوه عن بلوغ غايته ويظل فى كفاح بين الحالين .

وقد تتزعزع عقيدته أمام القوى السالبة وعجزه عن مقاومتها ولكنه فى ذلك يكون كمن يريد حياة لا نقص فيها ولا ضرورة ومن يريد مثل هذه الحياة كمن لا يريد الحياة .. إن الحياة حياة ولا حياة بغير النقص . إذ أن النقص ينبع منه الكمال . ونحن لا نعرف أوجه الكمال بغير وجود النقص . ولا نقصد هنا الكمال المطلق فأن الكمال المطلق لله وحده ، ولكننا نقصد بالكمال كل ما يسير بنا فى طريق التقدم ويبلغ بنا إلى ما نصبو إليه من الخير والحق والجمال .

أما الضرورة فهى سبيل الحرية عند تاجور ، والزهد فيها يحرم الإنسان حقيقة الحياة . فمن أراد أن يلعب الشطرنج بغير قيد حرم لذة اللعب .

« فليست حرية الإنسان فى أن يتجنب المتاعب ولكن فى أن يتحملها فى سبيل الخير ولا يكون ذلك إلا بإدراكنا أن نفسنا الفردية ليست أسمى معنى فى حياتنا ، ففينا الإنسان الخالد الذى لا يخشى الموت ولا الآلام »

وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأعظم

وإذا كان الهنود فى مذاهبهم القديمة ، يجعلون الألم طهارة للروح فهم يطلبونه كغاية . ويلجأون إلى تعذيب الجسد للارتفاع به إلى غاية عظمى من سمو الروح ، فإن تاجور يذهب فى ذلك مذهبا آخر فهو يجعل الألم مزية إنسانية ويرى أن العناية الألهية لم تسمح بالألم إلا وقد أعانت عليه بقوة الحب .

وليس معنى هذا أن الألم هو كل ثمرات الحب والعبادة الروحية فإنه يقول :

« إن الخلاص لا ينحصر عنى فى نكران الحياة ، فإننى لأستمتع بحلاوة الخلاص فى قيود الحبور الذى ليس له انتهاء »

ويرى تاجور فى كل ما كتب أن السرور هو غاية الحياة وكل ما لا يعود علينا بالسرور فهو عبء على كاهلنا . فالمنفعة الذاتية والأنانية والأثرة والحقد كلها أعباء تثقل أنفسنا وتقف حدا حاجزا بينها وبين السرور الذى تستمده من الحب والتعاطف والاخاء .

وعلى ضوء هذه الآراء نستطيع أن نتبين آراء تاجور فى الاجتماع وفى السياسة . فقد كان حكيم الهند وشاعرها يؤمن بالحرية والمحبة وتوثيق روابط الأخوة والألفة بين الامم وبين الناس . فكان يدعو

إلى حرية الأديان . ويكره النبذ وتفضيل طبقة على طبقة فى بلاده . وكان يحارب الآفات الاجتماعية التى تقود إلى تأخرها وهو أول من دعا إلى الإنسانية الدوليه .

فلما ثارت الهند ثورتها سنة ١٩٢١ كانت له طريقته فى محاربة الاستعمار . وهى الطريقة التى تتفق مع مبادئه التى ذكرناها .

وقام زعيم الهند المهاتما غاندى بحركته لتحرير الهند فكان تاجور أول المؤيدين له . وإن ظل على مبادئه التى تدعو إلى الوئام بين الأمم ورفض فكرة التقاطع . وظل محتفظاً برأيه فى ضرورة الشرق للغرب والغرب للشرق . ومن هنا جاء الاختلاف بينه وبين المهاتما وإن كان قد ظل يبادله المحبة والتأييد .

وقد اجتمع تاجور بالمهاتما غاندى وتبادلا الرأى فى شئون الهند وقد طلب منه المهاتما أن يستخدم المغزل نصف ساعة كل يوم وقال تاجور لم لا تكون ثمانى ساعات ونصف ، إننى على استعداد لحمل المغزل إذا كان هذا سيحرر الهند ».

ولم يكن تاجور يؤمن بالاستقلال الذى يأتى عن هذا الطريق

السهل البسيط الذى لا يكلف الأمة جهداً ولا يغير من حالها أو يرفع مستواها ويدفعها إلى الأمام كما ينبغى .

ويقول فى ذلك « إننى أرفض أن أدخل ملكوت السموات إذا قيل لى إن هذا لا يكلفك إلا أن تنقطع للعبادة ثلاثة أشهر .

كان تاجور لا يؤمن بالسواراج أى الاستقلال الذاتى ، ويشبهه بالضباب الذى لا يلبث أن يتبدد إذا طلعت عليه الشمس ويتبين هذا الرأى فى كتابه الخالد الذى أرسله من شيكاغو إلى صديقه تشارلز فريراندروز من أصدقائه فى الهند فى ٢ مارس ١٩٢١ .

« فى رسالتك[١] الأخيرة أنباء سارة عن الطلبة الهنود فى كلكتا . وأرجو أن تزداد هذه الروح التى وصفتها فى هذه الرسالة روح التضحية والرغبة فى مقاساة الآلام قوة على قوتها ، لأن النجاح فى هذا يعد غاية فى ذاته ، فهو الحرية الحقه ، وليس ثمة فى رأيى شىء أعظم قيمة من الإيمان المنزه عن الغرض بالمثل العليا ، وبعظمة الإنسان الخلقية ، لا أستثنى من ذلك الثروة القومية أو الاستقلال إن للغرب إيماناً لا يتزعزع بالقوة المادية ، والرخاء المادى ولهذا

---

(١) من أشهر الرسائل العالمية .

فإن وحشيته تزداد دويا كلما دوت صيحة السلم ونزع السلاح . فتراها تصر بأسنانها وتضرب بذيلها من شدة الضجر والغيظ ، فهى أشبه بسمكة آذتها قوة التيار ، فأعدت عدتها لأن تطير فى الهواء . وما من شك فى أن هذه الفكرة رائعة جميلة ، ولكنها فكرة لا تستطيع السمكة أن تحققها وعلينا نحن الهنود أن نكشف للعالم عن تلك الحقيقة التى لا تجعل نزع السلاح مستطاعا فحسب بل تجعل منـــه أيضا قوة .

إن القوم العزل من السلاح هم الذين سيثبتون للعالم أن القوة الخلقية أعظم من القوة الوحشية ، ولقد نبذت الحياة فى أعلى درجات تصورها عبئها الباهظ من الدروع الطبيعية ، وقدرا كبيرا مما كان يثقلها من اللحم ، وبذلك أصبح للانسان الغلبة على عالم الحيوان ، ولابد من يوم يثبت فيه رجل الروح الضئيل الجسم الأعزل الذى لا يملك أساطيل هوائية أو بوارج حربية ، أن الأرض سيرثها الوادعون .

ومن طبيعة الأشياء أن يقوم المهاتماغاندى الضئيل الجسم الذى تعوزه جميع مصادر القوة المادية فيثير قوة الوادعين العظيمة التى ظلت طوال الوقت كامنة فى قلوب أهل الهند البائسين المنتقصين .

إن الهند قد اختارت قوة الروح لاقوة العضل حليفاً لها يعينها على تحقيق امانيها وسيكون فى مقدور الهند أن تنتشل تاريخ الإنسان من وهدة الكفاح المادى المنحط إلى ذروة الخلق الرفيع .

وهل تعلم ما هو السواراج[1] ؟ إنه مايا ، إنه أشبه الأشياء بالضباب الذى لا يلبث أن يتبدد إذا طلعت عليه الشمس الدفيئة . ولا يبقى له أثر يلوث بهاء الخلود ، ومهما خدعنا أنفسنا بجمال اللفظ الذى أخذناه عن الغرب ، فليس السواراج هدفنا الذى نرمى إليه . ذلك أن كفاحنا كفاح روحى ، غايته هى الإنسان نفسه فنحن نهدف إلى تحرير الإنسان من الشباك التى حاكها حول نفسه أى من نظم الأنانية القومية . نريد أن نقنع الفراشة البشرية أن حرية السماء أعظم قدراً من ملاذ الشرنقة ، فإذا استطعنا أن نتحدى الأقوياء المسلحين الأثرياء وأن نكشف للعالم عن قوة الروح الخالدة ، فسوف تمحى تلك القلعة الحصينة قلعة الجسم الضخم الجبار ، وتتطاير هباء وإذا امحت وجد الإنسان السواراج .

نحن أبناء الشرق الأدنياء الجياع الرثى الثياب سنحقق للانسانية

---

(١) السواراج الاستقلال الذاتى ومايا السراب الخادع .

جميعها حريتها . إنك لا تجد فى لغتنا لفظاً يقابل لفظ الأمة ، وإذا ما استعرنا هذا اللفظ من غيرنا لم نجده ملائما لنا . ومن أجل هذا سنتخذ الغرابان[1] حليفاً لنا ولن ننال من النصر غير النصر نفسه وسيكون نصراً لعالم الله .

لقد شاهدت الغرب وعرفته ولست أحسده على موائده الدنسة التى يولغ فيها كل لحظة ، والتى تزيده تورماً وانتفاخاً واحمراراً وهذياناً خطيراً ليس من شيمتنا هذا التهتك وتلك الخلاعة الجنونية التى تقوم قيامتها فى منتصف الليل ، وسط المشاعل الموقدة بل الذى يتفق مع طبيعتنا هو اليقظة فى ضياء الصباح الهادىء الصافى » .

من هذه الرسالة يتبين لنا رأى تاجور واضحاً فى سياسة بلاده وموقفه من سياسة الاستعمار الذى نكبت به ، ورأيه فى هذه الرسالة لا يختلف عما استعرضناه من آرائه التى بسطها عن تغلب الروح المادية على بلاد الغرب مما يدفعها إلى الأنانية والجشع وحب الامتلاك وجعله غاية فى حد ذاته .

ومن المواقف المشرفة فى حياة تاجور السياسية أنه حينما رأى

(١) العنصر القدسى فى الإنسان .

ما نال أبناء وطنه من العسف والجبروت على يد المستعمرين رد إلى الحكومة الأنجليزية لقب سير الذى كانت قد منحته إياه سنة ١٩١٥ بخطاب شديد اللهجة يحتج فيه على ما كان يعامل به أبناء وطنه .

* * *

كان تاجور فى سنيه الأخيرة دائب الاشتغال بشئون الاجتماع والإصلاح فى بلاد الهند مما لا نرى متسعاً للافاضة فيه فى هذه الرسالة الصغيرة .

وقد لازمته العلة سنة ١٩٤١ وبدت عليه علامات الضعف وفى يوم عيد ميلاده الثمانين اجتمع الناس لتكريمه ولكنه كان فى حال من الوهن لا تسمح له بمقابلة الناس . ولما ألح المجتمعون فى طلب مقابلته أو رؤيته أطل عليهم من فراش مرضه وألقى فيهم كلمة عرض فيها لحال بلاده وما تعانيه من عسف الغرب وجبروته وجهله .

وفى أغسطس من تلك السنة أسلم تاجور الروح والتقى المحدود بغير المحدود إلى النهاية . وأطار البرق خبر وفاته فى أنحاء العالم فقوبل بالوجوم والأسى وشارك الهند فى مصابها فيه سائر أمم العالم . . إذ أن تاجور لم يكن شاعر الهند فحسب بل كان شاعر الانسانية جمعاء .

مختارات من آثاره الأدبية

مالينى

[مالينى من مسرحيات تاجور الصغيرة إلا أنها تعد من كبرى المسرحيات من حيث المعانى والأفكار التى تحويها ويدور الحوار فيها بين العقيدة البوذية على لسان مالينى وبعض العقائد البرهمية وقد نظمها الشاعر على طريقة الشعر المرسل وأودعها من الخيالات والمعانى البديعة ما جعلها أغنيه جميلة تستهوى النفوس وفيما يلى بعض مشاهد من الفصل الأول من هذه المسرحية]

الفصل الأول

شرفة القصر المواجهة للطريق

مالينى : لقد حان وقتى وأصبحت حياتى تخفق فى قلب هذا الزمان كما تخفق قطرة الندى على زهرة اللوتس ، وإنى لا تغمض عينى ويخيـــل إلى أنى أسمع شيئاً ، وفى قلبى ألم لا أعرف من أين جاء .

تدخل الملكة

الملكة : ماهذا يا بنيتى ؟ لمـــاذا تهملين أمر نفسك ولا ترتدين الملابس التى تلائم شبابك وجمالك ، أين حليك يا مطلع فجرى الجميل ؟ كيف تحرمين أطرافك لمس الذهب .

مالينى : إن فى الحياة يا أمى أناساً يولدون فقراء بؤساء ولو كان فى قصر الملك مولدهم . أما الثروة فلا أثر لها عند أولئك الذين يجدون الفقر فى الغنى .

الملكة : تحدثيننى بهذه اللغة الغريبة وأنت تلك الطفلة التى لم تكن تحسن من الـــكلام غـــير صياح الأطفال . . إن قلبى ليفزع فرقاً كلما أصغيت إليك . من أين جاءتك تلك العقيدة التى تخالف كل ما جاء فى كتبنا المقدسة ؟ يقولون إن الرهبان البوذيين الذين تلقيت عنهم دروسك يزاولون فنون السحر ويغشون عقول الناس ويملؤونها بالأكاذيب الخادعة ولـكنى أسائلك . هل الدين أمر يستطيع الإنسان أن يصل إليه بالبحث . أليس هو كأشعة الشمس التى تمنحها الطبيعة فى سائر الأيام ؟ إننى امرأة بسيطة ساذجة لا أفهم

مذاهب الرجال ومعتقداتهم ، وإنما أعرف أن ما تتعبده النساء يأتى إليهن عفواً من غير أن يتلمسنه ، فى صور أزواجهن وأطفالهن .

يدخل الملك

الملك : اسمعى يا بنيتى إن غيوماً عاصفة تتجمع فوق قصر الملك فلا تتقدمى خطوة واحدة فى طريقك الذى يؤدى إلى الدمار . تأنى وتأملى لحظة واحدة .

الملكة : ما هذه العبارات القاتمة ؟

الملك : إى بنيتى البلهاء ، إذا كان لا بد لك أن تنقلى معتقدك الجديد إلى هذه البلاد العريقة فى القدم ، فلا تجعليها كالفيضان العارم الذى يهدد من يقيمون على شاطئه ... احتفظى لنفسك بعقيدتك ولا تثيرى علينا سخط الناس وسخرياتهم .

الملكة : لا تؤنب ابنتى ولا تعلمها سياستك العوجاء . إذا اختارت طفلتى معلمها وسارت فى طريقها قدماً فمن يستطيع أن يلومها .

الملك : إصغى إلى أيتها الملكة : إن شعبي فى هياج ويطالبون بإبعاد ابنتى .

الملكة : إبعاد ابنتك ؟ !

الملك : إن البراهمة حين أزعجهم تجديفها اجتمعوا و —

الملكة : إنه لتجديف حقاً . هل الحقائق كلها اجتمعت فى كتبهم العتيقة فحسب . ليلقوا بعقائدهم التى أكلها الدود وليأتوا ليتلقوا دروسهم عن ابنتى . إن ابنتك ايها الملك ليست فتاة من النوع الذى ألفناه . إنها جذوة من النيران الصافية . ولا بد أن روحاً قدسية قد تقمصتها . لا تلمها وإلا فسيأتى يوم تضرب فيه على جبهتك وتبكى ثم تبحث عنها فلا تجدها .

مالينى : أبى . نفذ مشيئة شعبك . لقد اقتربت الساعة . انفنى إذن .

الملك : لماذا يابنتى . أى طلبة تريدين فى قصر أبيك .

مالينى : إصغ إلى يا أمى . إن أولئك الذين ينادون بنفيي . يدعوننى إليهم . أما أنت ياأماه فلا أستطيع أن أعبر لك عما فى نفسى . . دعينى ولا تحزنى من أجلى . كالشجرة التى تلقى

أزهارها بغير اكتراث . ودعيني أخرج إلى سائر الناس ..
فإن هذه الدنيا تريد أن تأخذني من يد الملك .

الملك : إنني لا أفهم ما تقولين يا بنيتي .

ماليني : إي أبي كن قوياً وأد رسالتك .

الملكة : ألا يوجد لك مكان هنا يا بنيتي في هذا البيت الذي ولدت
فيه . أكانت هذه الدنيا في انتظارك لتلقي أثقالها على كتفيك

ماليني : إنني أحلم في يقظتي . أن الرياح عاصفة ، والمياه مضطربة ،
والليل محلولك ، والسفينة راسية عند مرفئها ، أين الربان الذي
يحل السفينة ويقود بها التائهين إلى مأواهم ؟ إنني أشعر أنني
أعرف الطريق وأن السفينة ستدب فيها الحياة حينما ألمسها
وتسير في طريقها .

الملكة . أتسمع هذا أيها الملك ، لمن هذه الكلمات ؟ أهي كلمات هذه
الفتاة الصغيرة . أهذه ابنتك التي ولدتها ؟

الملك : أجل . وكما يحمل الليل شفق الفجر . ذلك الفجر الذي ليس
لليل . ولكنه للعالم أجمعين .

الملكة : أما لديك من مقدرة على بقائها فى قصرك — هذه الصورة التى خلقت من الضياء — عزيزتى لقد انحلت ضفائرك على كتفيك دعينى أعقصها . أما زالوا يتحدثون عن إبعادها أيها الملك إذا كان هذا من عقائدهم إذن فليأت الدين الجديد ودع أولئك البراهمة يعرفون ما هى الحقيقة من جديد .

الملك : أيتها الملكة . لنذهب بابنتنا من هذه الشرفة . ألا ترين الجماهير محتشدة فى الطريق؟

(يخرجون جميعاً)

(ويدخل جمع من البراهمة فى الشارع أمام شرفة القصر يصيحون) .

البراهمة : فلتبعد ابنة الملك .

كيمانكر : أيها الأصدقاء اثبتوا على عزمكم . إن المرأة إذا كانت عدواً كانت أشد الأعداء . فأن البرهان يعجز عن إقناعها ، والقوة تخجل أن تقاومها . وإن قوة الرجل لتتلاشى فى سرور أمام ضعفها ، لتتخذ أعز مكان من فؤاده .

البرهمي الأول : يجب أن نجتمع بمليكنا لنخبره أن أفعى تنفث السم داخل عشه . وهدفها أن تصيب ديننـــا المقدس في صميم قلبه .

سوبريا : الدين ؟ إنني جاهل لا أفهم ما تقول . خبرني أيها السيد . أدينكم هو الذي يدعو إلى نفي فتاة بريئة .

البرهمي الأول : إنك لعابث ياسوبريا ، ولا تنفك تقف أمام رغباتنا .

البرهمي الثاني : لقد اتفقنا أن ندافع عن عقيدتنا ونراك تقف بنا كعود متداع في ذلك البناء المرصوص . أو ابتسامة ثقيلة على شفتين ساخرتين .

سوبريا : أتظن انكم بكثرة عـــددكم تتغلبون على الحق وتغرقون المنطق في ضجيج صيحاتكم .

البرهمي الأول : هذه وقاحة لا مثيل لها ياسوبريا .

سوبريا : ليست آرائي هي التي لا مثيل لها ولكن آراء أولئك الذين يؤولون حقائق كتبهم المقدسة بما يلائم عقولهم الضيقة .

البرهمى الثانى : إخرجوه إنه ليس هنا .

البرهمى الأول : لقد اتفقنا جميعاً على نفى الأميرة . وعلى من يخالف هذا الرأى أن يغادر هذا الإجتماع .

سوبريا : أيها البراهمة . لقد كان الخطأ من جانبكم أنتم الذين اخترتمونى كواحد منكم . ولست ظلا لكم . ولا أننى صدى لما تحويه أسفاركم . ولا يمكن أن أوافق على أن الحق يكون فى جانب أعلى الأصوات وأكثرها ضجيجا وإنى ليخجلنى أن أعتنق مذهباً يستند إلى القوة وحدها فى بقائه (إلى كيمانكر) أى صديقى العزيز إسمح لى أن أنصرف .

كيمانكر : كلا إنى لا أسمح لك : إننى أعرف إنك ثابت على عملك . إلا أنك تتشكك أثناء المجادلة . التزم الصمت ياصديقى إننا فى ظروف سيئة .

سوبريا : إن أشد الأشياء إيلاماً للنفس هى عماية اليقين بالجهل . لذلك ظننتم أنكم تحمون دينكم بنفى فتاة من بيتها . خبرونى ما ذنبها أليست تعتقد مثلنا بأن

الحق والحب قوام ديننا ؟ إذا كانت هذه عقيدتها .
أليست هذه خلاصة العقائد ؟

كيمانكر : إن الدين واحد فى جوهره . ولكنه مختلف فى صوره المتعددة . فالماء واحد ولكن باختلاف شطآنه يكون الحق فيه لأمم مختلفة . فأذا كان لك نبع خاص يتدفق ماؤه من أعماق قلبك فلا تلومن جيرتك الذين يستسقون جرعة الماء من بركهم القديمة التى كان يستسقى منها أسلافهم ، بين المروج المعشوشبة التى غذتها الأجيال البعيدة ، والأشجار العتيقة ، التى تحمل ثمار الأبدية .

سوبريا : سأتبعك يا صديقى كما كنت دائماً ولن أحتج بعد الآن .

آمال

(أمال طفل مريض حرمه الطبيب الخروج من المنزل وحبسه عن الحياة وقد كتب الشاعر قصته فى تمثيلية مكتب البريد التى تمثل فكرة الانطلاق والعمل فى نفس ذلك الطفل الحبيس وقد اختلجت فى نفسه أشد ماتكون ، وما يزال يطلب الانطلاق والعبور حتى يراه فى صورة الموت وقد قدم لهذه المسرحية الشاعر الإيرلندى و. ب . ييتس ومثلت فى كثير من مسارح العالم وفيما يلى الفصل الثانى من هذه التمثيلية) .

أمال فى الفراش

أمال : عمى ألا أستطيع أن أقترب من النافذة اليوم ؟ وهل يعترض الطبيب على ذلك أيضاً .

مادهاف : أجل يا عزيزى لا تستطيع لقد أخذت صحتك تزداد سوءاً بجلوسك القرفصاء هناك يوماً بعد يوم .

أمال : أوه .. كلا لا أعرف أن جلوسى هناك قد زاد فى مرضى

ولـكنى على العكس أشعر بأن صحتى تتقدم دائماً عندما أكون هناك .

مادهاف : كلا . ليس هذا صحيحاً . إنك تجلس القرفصاء هناك وتتصادق مع كل من حولك من الناس صغار أوكباراً . وكأنهم قد أقاموا سوقاً تحت منزلى . إن اللحم والدم لا يحتملان ذلك الجهد أنظر إن وجهك شاحب تماماً .

أمال : أخشى ياعمى أن يمر فقيرى ولا يرانى بجانب النافذة .

مادهاف : فقيرك ؟ ومن يكون ذلك ؟ .

أمال : إنه يحضر إلى ويحدثنى عن البلاد الكثيرة التى رآها وإنى أحب أن أستمع إليه .

مادهاف : كيف ذلك ؟ أنا لا أعرف فقراء ! !

أمال : لقد حان وقت مجيئه . بحق قدميك العزيزتين أتوسل إليك أن تدعوه هنا ليتحدث إلى .

(يدخل الشيخ متنكراً فى زى فقير)

أمال : هاهو أنت . . هلم إلى جانب فراشى أيها الفقير .

مادهاف : يالك . . ولكن .

الفقير : (غامزاً بعينيه) أنا الفقير .

مادهاف : لم يدر بخلدى أنك أنت .

أمال : أين كنت كل هذا الوقت أيها الفقير ؟ .

الفقير : كنت فى جزيرة الببغاوات . وأنا قادم منها لساعتى .

مادهاف : جزيرة الببغاوات ؟

الفقير : أهذا شىء يدعو إلى الدهشة ؟ أنا لست مثلك .. إن الرحلة لا تكلفنى شيئاً إننى أسير كيفما شئت .

أمال : (مصفقاً) يالسعادتك تذكر أنك وعدت أن تأخذنى كتابع لك حينما أستعيد صحتى .

الفقير : طبعاً .. وسأعلمك كثيراً من أسرار الرحالة حتى لا يقف دونك شىء فى بحر أو غابة أو جبل .

مادهاف : ما كل هذا الهراء ؟ .

الشيخ : أمال ياعزيزى ... أنا لا أخضع لشىء فى البحر أو الجبل ، ولكن إذا حضر الطبيب وانضم إلى عمك هذا فأنى بكل

ما لدى من السحر أعد نفسى منهزماً .

أمال : كلا إن عمى لن يخبر الطبيب وإنى أعد بأنى سأرقد فى هدوء ، ولكننى يوم أشفى من مرضى سأسير مع الفقير .. ولن يصدنى عن طريق بحر أو جبل أو سيل جارف .

مادهاف : أيها الطفل العزيز لا تكثر من ترديد نغمة الخروج .. إنه ليحز فى قلبى أن أسمعك تتكلم هكذا .

أمال : أيها الفقير صف لى جزيرة الببغاوات .

الشيخ : إنها بلد العجائب . إنها مأوى الطيور ، ليس يسكنها إنسان وهذه الطيور لا تتكلم ولا تمشى .. وإنما تغرد وتطير .

أمال : ما أعظم هذا ! أهى على بحر من البحور ؟ .

الشيخ : طبعاً إنها على شاطىء بحر .

أمال : وهناك آكام خضر ؟ .

الشيخ : أجل .. إنها تعيش وسط الآكام الخضر ، وعندما تغـــرب الشمس ويتألق جانب الأكمة بلون الشفق

الأحمر . . تنطلق أسراب هذه الطيور مرفرفة بأجنحتها إلى أوكارها .

أمال : أهناك مساقط مياه ؟ .

الشيخ : يا إلهي !! هذا شيء طبعي .. أنت لا ترى رابية دون مساقط مياه لها ، وإنها لتترقرق كالماس المذاب .. ما أجمل رقصتها يا عزيزي !! أليست تجعل الحصباء تغنى وهي تجتازها إلى البحر ؟ لا طبيب كالشيطان يستطيع أن يوقفها لحظة واحدة . وهذه الطيور لا تنظر إلى الإنسان إلا كأنسان ، مخلوق تافه لا أجنحة له ! ولهذا لا علاقة لها بي ولو لم يكن هذا شأنها لبنيت لنفسي كوخا بين أوكارها وقضيت أيامي أعد أمواج البحر .

أمال : ليتني كنت طائراً — حينئذ .

الشيخ : ولكن هذا التمنى إذا صح يكون عملا يشغل كل وقتك لقد سمعت أنك اتفقت مع بائع اللبن على أن تبيع الزبادى حين تكبر . وأخشى أن مثل هذه الصناعة لا تروج بين الطيور فتقع في خسارة جسيمة .

مادهاف : حقاً إن هذا أكثر مما يحتمل . إنى سأجن بينكما على أن أنصرف .

أمال : هل جاء بائع اللبن يا عمى ؟ .

مادهاف : ولماذا لا يحضر ؟ ! إنه لن يوجع رأسه بحمل كل ما يكلفه به فقيرك من مأموريات داخل وخارج أوكار الطيور فى جزيرة الببغاوات . لقد ترك لك وعاء لبن الزبادى وقال إنه مشغول بعرس بنت أخيه فى القرية ، وعليه أن يرسل فى طلب فرقة غنائية من كامليبارا .

أمال : ولكنه وعد أنه سيزوجنى ببنت أخيه .

الشيخ : ويحى لقد وقعنا فى ورطة الآن .

أمال : لقد قال إنها ستكون عروسى الصغيرة الجميلة ، وستشنف أذنيها بقرطين من اللؤلؤ ، وترتدى ساريا أحمر بديعاً ، فإذا جاء الصباح ستحلب البقرة السوداء ، بيديها وتطعمنى من اللبن الساخن يعلوه الزبد . فى وعاء جديد من الخزف . وفى الامسيات تطوف بالمصباح حول حظيرة البقر ثم تجلس

إلى فتقص على قصص شمبا وأخوته الستة .

الشيخ : ما أبدع هذا .. إن هذا ليكاد يغرينى وأنا رجل ناسك !! ولكن لا تشغل نفسك يا عزيزى بهذا الزفاف وانسه وحينما تنوى الزواج فستكون هناك كثيرات من بنات إخوته . وأخواته .

مادهاف : صه . إن هذا الكلام فوق ما أحتمل (يخرج) .

أمال : أخبرنى مادام عمى خرج .. هل أرسل الملك إلى خطاباً بمكتب البريد ؟ .

الشيخ : أظن أن بخطابه قد كتب فعلا . وأنه فى طريقه إلى هنا .

أمال : فى الطريق ؟ وأين هو ؟ أهو عند هذا الطريق الملتوى بين الأشجار ؟ الذى تستطيع أن تتبعه بناظريك إلى آخر الغابة عندما يصحو الجو بعد المطر ؟ .

الشيخ : ذلك هو المكان .. إنك تعرف عنه كل شىء فعلا .

أمال : نعم أعرف كل شىء .

الشيخ : تعرف كل شىء ؟ ولكن كيف ذلك .

أمال : لا أستطيع أن أنبئك .. ذلك واضح لى كل الوضوح وكأنى إعرفته منذ زمن بعيد فيما مر بى من الأيام لا أدرى مداه .. أتدرى متى ؟ إنى أستطيع أن أرى كل شىء . هاهو ساعى الملك قادماً وحده من جانب الأكمة فى يده اليسرى مصباح وعلى ظهره حقيبة الرسائل . يطوى النجاد دائماً أياما وليالى ، ثم يأخذ طريقه بأزاء الشاطىء ويسير خلال نبات السيلم . ثم يختفى خلف حقل القصب ويسير بين أشجاره الطويلة . حتى يصل إلى المرج الفسيح ، حيث يصىء الصرصور بصوته وحيث لا يرى إنسان ولا يوجد غير طائر الشنقب يهز ذيله . ويعبث بمنقاره فى الطمى أحس به يقترب ويمتلىء قلبى سروراً .

الشيخ : ليست لى عيون الفتية الصغار ، ولكنك تجعلنى أبصر كل شىء كما تراه .

أمال : قل لى أيها الفــــقير أتعرف الملك الذى يمتلك مكتب البريد هذا ؟ .

الشيخ : نعم أعرفه إنى أذهب إليه فى طلب الصدقات كل يوم .

أمال : حسن عندما أشفى من مرضى يجب أن أنال صدقاتى كذلك ... أليس لى أنا أيضاً هذا الحق .

الشيخ : سوف لا تحتاج إلى سؤاله ، إنه سوف يعطيك ما تريده من منحه الخاصة .

أمال : كلا . . إنى سوف أذهب إلى بابه وأهتف : النصر لك أيها الملك وأرقص على أنغام الموسيقى ثم أطلب الصدقات أليس هذا شيئاً جميلا ؟ .

الشيخ : سوف يكون هذا منظراً عجيباً .. وإذا كنت معى فسوف أنال نصيبى كاملا .. ولكن ماذا تكون طلبتك .

أمال : سأقول له اجعلنى ساعى بريدك .. أطوف من هنا وهناك والمصباح فى يدى وأفرق خطاباتك من باب إلى باب . ولا تدعنى أبقى داخل الدار طول النهار .

الشيخ : أى شىء يابنى يدعو إلى الحزن حتى لو بقيت داخل الدار؟

أمال : ليس هذا حزناً . ولكننى حينما منعت من مغادرة المنزل فى أول الأمر شعرت بطول النهار .. ومنذ إقامة مكتب البريد هنالك بدأت أحب البقاء فيه .. وكلما فكرت فى أنى

سأنال خطاباً يوماً ما بدا يطوف بنفسى طائف من السعادة ولم أعد أحفل بأن أبقى وحيداً ساكتاً . لا أدرى هل أستطيع أن أعرف ما يحوى خطاب الملك ؟ .

الشيخ : وحتى إذا لم تعرف .. ألا يكفى أن الخطاب يحمل اسمك ؟

(يدخل مادهاف)

مادهاف : هل دار بخلدكما ما حل بى من أجلكما .

الشيخ : ماذا حدث ؟ .

مادهاف : علمت أنكما أشعتما بين الناس أن الملك وضع مكتب البريد فى هذا المكان ليبعث رسائله إلى كل منكما .

الشيخ : حسن .. وماذا حدث ؟ .

مادهاف : إن بانشنان عمدة قريتنا أبلغ هـــذا إلى الملك بخطاب غفل من الإمضاء .

الشيخ : ألا تعرف من قبل أن كل شىء يصل إلى آذان الملك ؟

مادهاف : لمـــاذا لا تقدر ذلك إذن ؟ لم يكون اسم الملك مضغة فى أفواهكما إن هذا العمل من شأنه أن يسوقنى إلى الدمار .

أمال : قل لى أيها الفقير ... أسيغضب الملك ؟

الشيخ : يغضب ؟ ! هذا لغو . . ومن طفل مثلك ومن فقير مثلى !!
فللنظر إذا كان الملك غاضباً فلن أقدم إليه نصحى .

أمال : قل لى أيها الفقير .. إنى أحس عند الصباح شيئاً من الظلام يغشى عينى وكل شىء أمامى يبدو كالحـــلم . إنى أتوق إلى الهدوء ولا أحس رغبة فى الـكلام على الإطلاق . ألن يرد خطاب الملك ؟ هب أن هذه الحجره قد تلاشت بغتة هب .

الشيخ : (ويروح على أمال) إن الخطاب سيرد اليوم ولا شك .

يدخل الطبيب

الطبيب : بماذا تشعر اليوم ؟

أمال : أحس أننى فى صحة كاملة اليوم أيها الطبيب . . وكأنما زال عنى كل ألم .

الطبيب : (يهمس إلى مادهاف) لا تغتر بهذه الابتسامة كثيراً إن شعوره بالشفاء علامة سيئة فيما يقول شكرادهان ...

مادهاف : أيها الطبيب دع شكرادهـــان جانباً وأخبرنى بربك بما سيحدث .

الطبيب : أخشى أن أقول إنك لن تستطيع أن تحجزه مدة أطول داخل الدار . . لقد حذرتك من قبل ويبدو أنه أصيب بصدمة جديده .

مادهاف : كلا . لقد اتخذت أقصى ما يمكن من العناية ولم أسمح له بالخروج من باب المنزل على الإطلاق . وقد ظلت النوافذ مغلقة طوال الوقت .

الطبيب : إن فى الجو اليوم عاملا غريباً . . وقد لاقانى عند الباب الأمامى فى داركم تيار مخيف من الهواء وهذا التيار مؤذ للغاية . خير لكم أن تغلقوه فى الحال . وهل يعنيكم أن يحجز عنكم الزوار يومين أو ثلاثة . فإذا طرق بابكم زائر على غير انتظار . . فلديكم الباب الخلفى . . وكان يجدر بكم أن تغلقوا هذه النافذة كذلك . إنها تسمح لأشعة الغروب بأن تتسرب إليكم فتجعل المريض مستيقظاً .

مادهاف : لقد أغمض عينيه . . لعله نام . . وينبئنى وجهه — ويحى أيها الطبيب . إننى أحضرت إلى دارى طفلا غريباً وأحببته كأنه ابن لى والآن يخيل إلى أننى سأفقده .

الطبيب : ما هذا ؟ هذا العمدة قادماً علينا . ما هذا الإزعاج ؟ على أن أذهب يا أخى . لقد كان يحسن بك أن تمر بالأبواب . وتتأكد أنها مغلقة تماماً . سأرسل إليك جرعة قوية عندما أصل إلى المنزل . حاول أن يتجرعها لعلها تنقذ حياته أخيراً إذا كان له أن ينجو .

يخرج مادهاف والطبيب

العمدة : هلم أيها القنفذ .

الشيخ : (ويقوم مسرعاً) صه .

أمال : كلا أيها الفقير أتظن أنى كنت نائماً ؟ . . كلا إنى لم أكن نائماً . إنى أسمع كل ما يدور حولى . نعم حتى الأصوات البعيدة وأحس أمى وأبى يجلسان على الوسادة إلى جوارى ويتحدثان إلى .

يدخل مادهاف

عمدة البلد : مادهاف أرى لسانك يلفظ بألفاظ العظمة والجاه .

مادهاف : دعنى من تهكماتك أيها العمدة . . ما نحن إلا من سواد الشعب .

العمدة : لكن طفلك هذا ينتظر خطاباً من الملك .

مادهاف : لا تلق بالا إليه . إنه ليس سوى طفل أبله .

العمدة : حقاً . وكيف لا يكون كذلك ؟ إن الملك ليتحرق شوقاً إلى أسرة خيراً من أسرته الملكية . ألا ترى أنه قد وضع مكتب البريد الجديد أمام نافذتك . ولك خطاب أيها القنفذ .

أمال : (ناهضاً) حقاً ، هذا صحيح ؟ ! .

العمدة : وكيف يكون هذا لغواً . إنك أنت صديق للملك ها هو ذا خطابك (يريه ورقة بيضاء) ها هو ذا الخطاب .

أمال : أرجو أن لا تهزأ بي . . قل لي أيها الفقير أهذا صحيح ؟

الشيخ : أجل يا عزيزي . إني كفقير أقول إن هذا خطابه .

أمال : كيف هو ؟ أنا لا أستبينه . . إنه يبدو أبيض من سائر نواحيه . ماذا يحوي الخطاب يا سيدي الشيخ .

العمدة : إن الملك يقول ، إنني سأزورك عاجلا . كان يحسن أن تحضر لي الأرز المفلفل ، إن القصر البعيد لم يعد يحلو لي هنا . هنا .

مادهاف : (ويداه معقودتان) أتوسل إليك أيها الشيخ أن لا تتفكه بهذه الأشياء .

الشيخ : أصحيح أنه يتفكه ؟ إنه لا يجسر على ذلك .

مادهاف : هل فقدت صوابك أنت الآخر أيها الشيخ :

الشيخ : فقد صوابي حسن إنى لكذلك . إنى أستطيع أن أقرأ بوضوح آن الملك يكتب ، أنه سيحضر بنفسه ومعه طبيب القصر .

أمال : إصغ . . هذا صوت فرقة الموسيقى التى ... ألا تسمعها ؟

العمدة : لا أظنه يفعل ذلك وهو فى وعيه .

أمال : أيها الرئيس . كنت أظن أنك غاضب منى ولا تحبنى ولم يكن يخطر ببالى أنك ببتحضر لى خطاب الملك إسمح لى أن أمسح التراب من على قدميك .

العمدة : إن هذا الطفل مطبوع على احترام الآخرين وإذا كان فيه شىء من البلاهة فإنه طيب القلب .

أمال : إنها تكاد تكون النوبة الرابعة . وأظن أن الناقوس

سيدق دونج . دونج . دونج هل ظهر نجم المساء ؟ كيف
لا أستطيع أن آتيته ؟

الشيخ : إن النوافذ جميعها مغلقة سأفتحها .

(يسمع طرق بالباب)

مادهاف : ما هذا ؟ من هذا ؟ ما هذه الضجة ؟ !

صوت من الخارج

افتح الباب .

مادهاف : أيها الرئيس أرجو أن لا يكون هؤلاء لصوصاً .

العمدة : من هناك ؟ هأنذا بانشانان العمدة أناديكم . ألا تخشون
أحداث هذه الضجة ؟ عجباً . . ها هى الضجة قد سكنت
إن صوت بانشانان يذهب بعيداً . أجل أرنى أكبر
اللصوص !

مادهاف : (ويطل من النافذه) لا عجب أن سكنت الضوضاء لقد
كسروا الباب الخارجى .

يدخل رسول الملك

الرسول : سيحضر مليكنا المعظم هذه الليلة

العمدة : يا إلهى !

مادهاف : وفى أى ساعة من ساعات الليل أيها الرسول ؟

الرسول : فى الساعة الثانية .

أمال : إذن عند ما يدق صديق الحارس ناقوسه دونج دونج . دونج . دونج .

الرسول : أجل عند ذلك . إن الملك يرسل أعظم أطبائه ليشرف على علاج صديقه الصغير .

يدخل طبيب الدولة

الطبيب : ما هذا ؟ ما هذه الحواجز ؟ افتحوا الأبواب والنوافذ عن آخرها (يجس جسم آمال) بماذا تشعر يا بنى ؟

أمال : أشعر بأن صحتى حسنة ، حسنة جداً . لقد انصرف عنى كل ألم . ما أحسن الجو ؟ وما أفسح المكان ! ! إنى أستطيع الآن أن أرى سائر الكواكب تتألق من الناحية الأخرى للجانب المظلم .

الطبيب : أتشعر بأن حالتك تسمح لك بمغادرة الفراش ، إذا ما حضر الملك عند منتصف الليل ؟

أمال : لا شك إنى أود من كل قلبي أن أطوف طوال وقتى هنا وهناك .. سأطلب من الملك أن يرينى النجم القطبى . لابد أنى رأيته كثيراً ولكننى لا أدرى أى النجوم هو على التحقيق .

الطبيب : سينبئك بكل شىء (إلى مادهاف) ضع فى الحجرة بعض الأزهار احتفاء بقدوم الملك (مشيراً إلى العمدة) أنا لا أحتمل وجود هذا الرجل فى هذا المكان .

أمال : كلا .. دعه أيها الطبيب . إنه صديق .. هو الذى أحضر إلى خطاب الملك .

الطبيب : حق يا بنى .. لا بأس من بقائه إذا كان صديقاً لك .

مادهاف : إن الملك يحبك يا طفلى العزيز وسيحضر بنفسه أطلب منه هدية أنت تعلم حالنا المتواضعة .

أمال : لا تحفل بهذا يا عمى .. لقد عولت على ذلك .

مادهاف : وماذا رأيت .

أمال : سألتمس منه أن يعطنى ساعياً لبريده . حتى أستطيع أن أطوف هنا وهناك وأفرق الرسائل .

مادهاف : (ويضرب على وجهه) وا أسفاه ! أهذا كل ما ستطلبه ؟ !

أمال : ماذا نقدم للملك عند قدومه يا عمى ؟

الرسول : إنه يطلب أرزاً مفلفلا .

أمال : أرزاً مفلفلا ! أجل أيها العمدة إنك على صواب . لقد قلت هذا أنت تعرف ما لا نعرف .

العمدة : لو كنت بعثت إلى فى منزلى كلمة عن هذه الزيارة كنت أعددت ما يناسب قدوم الملك .

الطبيب : لا حاجة بنا إلى ذلك على الإطلاق . الآن التزموا الهدوء جميعاً إن النوم يداعب عينيه . سأجلس إلى وسادته إنه على وشك النوم . . أطفئوا المصباح . دعوا ضوء النجم وحده ينساب إلى حجرته . التزموا الصمت . لقد نام .

مادهاف : (إلى الشيخ) لم تقف هناك كالتمثال مطبقاً إحدى راحتيك على الأخرى ؟ إن أعصابى تضطرب . قل لى هل هناك ما يبشر بالخير ؟ لماذا يطفئون نور الحجرة . كيف يعيننا ضوء النجم ؟

الشيخ : صه . يا عديم الإيمان !

(تدخل سودها)

سودها : أمال !

الطبيب : إنه نائم .

سودها : لقد أحضرت إليه بعض الأزهار . ألا أستطيع أن أسلمها إليه في يده ؟

الطبيب : أجل تستطيعين .

سودها : ومتى يستيقظ ؟

الطبيب : عندما يحضر الملك ويدعوه .

سودها : هل لك أن تسر إليه بكلمة نيابة عنى ؟

الطبيب : وما هى هذه الكلمة .

سودها : قل له إن سودها لن تنساه .

جمع الثمار

[جمع الثمار والبستاني من أشعار تاجور القصيرة وقد ذهب فيها مذهب الشعر الغنائي . والأولى فيها روعة وخشوع ولهفة إلى عالم الغيب ، والثانية فيها عاطفة وحب وتمتاز هاتين المجموعتين بسحر الموسيقى وجمال الإيقاع مع خيال سماوي بديع وفيما يلي أبيات من جمع الثمار]

الكتاب المقروء

تيقظت من سباتي وتلقيت كتابه مع ضوء الصباح .

لا أدري ما احتوى عليه . لأنني لا أعرف القراءة .

سأترك ذلك الرجل الحكيم وكتبه في وحدته ولا أثقل عليه .

من يدري هل يعرف ما يحتويه هذا الكتاب .

* * *

سأرفعه فوق رأسى وأضمه إلى صدرى

ولما يقبل الليل فى هدوئه وتطلع النجوم نجما بعد آخر

سأضعه بين أحضانى وأظل صامتة

سيتلوه « حفيف أوراق الشجر بصوت رفيع »

وسينشده لى النهر وهو يتدفق بعذب مائه

وتغنيه لى النجوم السبعة ، فى أعلى السماء

* * *

إننى لا أستطيع أن أجد ما أبحث عنه

ولا أستطيع أن أفهم ما عسى أن أتعلمه

ولكن هذا الخطاب الذى لم يقرأ بعد

قد خفف عنى وأحال أفكارى إلى أغنيات

الإشارة الخفية

إن حفنة من التراب تستطيع أن تخفى عنى
إشارتك حين أعجز عن فهم معناها
فلما صرت أكثر تعقلا ، أصبحت قادراً على قراءتها
فى كل ما كان يخفيها عن ناظرى من قبل
أراها مرسومة فى أوراق الأزهار وفى الأمواج
ترفعها الروابى والآكام على قممها العالية
كنت أحول وجهى عنك ، فانحرفت عن قراءة الكتاب
فلم أتفهم معناه .

هذا الغريب ينادينى

لا أستطيع أن أستقر فى منزلى وا أسفى
إنه لم يعد بعد منزلى . فهذا الغريب ينادينى
وهو يسير على طول الطريق
إن صوت قدميه وهو يطأ الأرض
يتردد صداه فى صدرى فيؤلمنى
والرياح تهب والبحر يصعد زفراته .
سأودع كل همومى وشكوكى
لأتابع التيار الذى لا منزل له
فالغريب ينادينى وهو يسير على طول الطريق

البستانى

الخادم : مغفرة لخادمك أيتها الملكة .

الملكة : إن الحفل قد انفض وانصرف جميع خدمى ما الذى أتى بك إلى هنا فى هذا الوقت المتأخر :

الخادم : عند ما تنتهين منهم جميعاً ، فهـذا وقتى الذى أريده لقد أتيت لأسأل . ما الذى تبقى لخادمك كى يقوم به .

الملكة : ماذا تنتظر إذا كان الوقت متأخراً .

الخادم : أن أكون بستانى حديقة أزهارك . . .

الملكة : ياله من اقتراح ساذج .

الخادم : إننى إذن أنفض يدى من كل عمـل ، وألقى بسيوفى ورماحى على الغبراء . لا تطالبينى بالرحيل إلى قصور الملوك فى البلاد النائية ولا تكلفينى بفتوح جديدة وحسبى أن تجعلينى بستانى حديقة أزهارك .

الملكة : وماذا يكون عملك ؟

الخادم : أقوم بالخدمات التى يستدعيها وقت فراغك
أنضر الأعشاب فى الطريق الذى تمرين به كل صباح
حيث تهب الازهار التائقة للموت فتحيي قدميك
عند كل خطوة من خطواتك بالثناء الجميل
وأوقد المصباح الذى يشتعل خلف فراشك بزيت معطر
وأحلى مقعدك بنقوش عجيبة ، تنبعث منها رائحة الصندل
والزعفران .

الملكة : وما هو الجزاء الذى ترضاه عن هذا العمل .

الخادم : أتنـــاول يديك الصغيرتين الغضتين كأوراق اللوتس »
وأضع أساور الأزهار حول رسغيك
وأخضب قدميك بعصير الأشوكا ذى اللون القرمزى
وأقبل التراب الذى يتناثر تحت قدميك .

الملكة : لقد أجيب سؤلك أيها الخادم .
وستكون بستانى حديقة أزاهرى .

لماذا لم يعد ؟ !

قال لى هامساً : ارفعى عينيك يا حبيبتى
فنهرته ، وقلت : أذهب ، ولكنه لم يتحرك من مكانه
سار ورائى ورفع يدى قلت « دعنى »
ولكنه لم يذهب

اقترب بوجهه نحو أذنى ، فنظرت إليه وقلت
« يا للعار » ولكنه لم يتحرك
ولمست شفتاه خدى فارتعشت وقلت
« لقد بالغ فى جرأته » ولكنه لم يخجل

وضع زهرة فى خصائل شعرى فقلت :
« عبثاً تحاول » ولكنه لم يتحرك
وأخذ الأكليل من عنقى وذهب
فبكيت وساءلت قلبى « لماذا لم يعد » ؟

طائران

كان الطائر الداجن فى القفص ، والطائر الطلق فى الغابة فتلاقيا لما حان الأوان ،

صاح الطائر الطلق : « دعنا نطر نحو الغابة يا عزيزى »

همس الطائر الداجن : « بل تعال معى هنا نعش كلانا فى القفص ».

قال الطائر الطلق : وأين أجد فى القفص المكان الذى أبسط فيه جناحى .

قال طائر القفص : وأنا آسف لأننى لا أجد فى السماء المكان الذى أجثم فيه .

وصاح به الطائر الطلق : عليك إذن أن تتغنى بأغانى الغابة

قال طائر القفص : هلم إلى جوارى وسأعلمك من أحاديث المتعلمين .

صاج طائر الغابة : « كلا . ثم كلا . إن الأغانى لا تعـــلم على الإطلاق » .

قال طائر القفص : وا أسفا . إننى لا أعرف أن أتغنى بأغانى الغابة . كل من الطائرين يتوق إلى الآخر ويستدنيه إلى جواره ، ولـكنهما لا يستطيعان أن يطيرا جنباً إلى جنب ، ولا يرى أحدهما الآخر إلا من وراء القضبان ، وعبثاً حاول أحدهما أن يعرف أخاه ينشران جناحيهما فى حنان وعطف وينشد كل منهما « هلم إلى يا حبيبى »

وصاح الطائر الطلق : كلا إن هذا لن يكون ، إننى أخاف القفص المغلق الأبواب .

وصاح طائر القفص فى أسى : « إن جناحى ضعيفان ميتان » .

هدية المحب

[مجموعة من الشعر تعبر عن شتى الإحساسات والعواطف ملأى بشتى صور الجمال فى الإنسان وفى الطبيعة . وهما شىء واحد عند تاجور ، وقد سماها هدية المحب لأنها صادرة عن قلب عامر بالحب ، وشعره فى هدية المحب ينبعث من صميم الحيـاة الهندية متخذاً طريقه بين الغابات الوارفة والمروج المخضـلة ومن الروائع المؤثرة فى هذه المجموعة رثاء الشاعر زوجته]

فى بستانى

تتزاحم إلى بستانى الفاكهة وتتدافع

وفى الأضواء الساطعة تتماوج . مفعمة بالثمار

هلمى أيتها الملكة نحو بستانى فى تيهك

واجلسى تحت الظلال الوارفة

واقتطف الفاكهة من غصونها

دعيها تدر كل ما تحمل من الحلاوة بين شفتيك

الفراش تخفق أجنحته فى بستانى ، تحت ضوء الشمس

وأوراق الأشجار تهتز

والفاكهة تهتف من أعماقها لتصل إلى أوج نموها

من معين واحد

هى قريبة من قلبى اقتراب الزهرة من الأرض
وهى تحلو لعينى كما يحلو الرقاد للأطراف المتعبة
حبى لها هو حياتى تفيض فى عنفوانها .
كالنهر يطفو وقت الخريف ، ثم يسير فى هدوئه
إن أغانى وحبى ينبعثان من معين واحد
كخرير النهر وهو يغنى بسائر أمواجه وأواذيه

إذا كانت معى

لو كانت لى السماء بكل ما فيها من الكواكب
والعالم بما يحوى من الذخائر التى لا تحصى
لطلبت المزيد
ولكننى أقنع بأدنى محلة فى الأرض
إذا كانت هى معى

الربيع الأول

عندما فتحت الرتاج أيها الربيع
وتسللت من حديقة الآلهة ، منذ أجيال بعيده
هبطت على أول شباب عرفته الأرض
فتدافع الناس رجالا ونساء من بيوتهم
ضاحكين راقصين . يطوق بعضهم بعضاً بأكاليل الأزهار
فى جنون وسرور مباغت

* * *

وتتابعت السنون سنة بعد أخرى
فأتيت بالأزاهر نفسها ،
التى نثرتها فى طريقك فى أول ابريل عرفته الأرض
فهى اليوم تتنسم أنفاس تلك الأيام التى أصبحت أحلاماً
وأشجان تلك العوالم النائية
فنسيمك يحمل أساطير الحب ، التى زالت من سائر اللغات

السمراء

يدعوها جيرتها « السمراء » ولكنها زنبقة عند قلبي
أجل إنها زنبقة وإن لم تكن بيضاء الأديم
كان سنى الضوء يبدو خلف الغيوم
حين رأيتها لأول وهلة
وكان رأسها عارياً وقد أميط عنها اللثام
وشعرها المجدول يتدلى فوق جيدها !
قد تكون سمراء كما يقولون ولكن قلبي يفعم بالسرور
حينما أبصر عينيها السوداوين

* * *

كان نبض الهواء ينذر بالعاصفة
فسمعت بقرتها الرقطاء تجأر فى فزع

واندفعت من كوخها ثم رفعت عينيها النجلاوين لحظة
وأحست حركة المطر المرتقب

* * *

كنت أجلس فى ركن ناء بحقل الأرز ، لو أنها راقبتنى
مكان لا يعرفه أحد غيرها ، وقد أعرفه أنا ،
هى سمراء كظل الغابة المزدهرة
سمراء كالشوق إلى حب مبهم
فى ليلة من ليالى الربيع المشوق

الشاعر

لما بدأ تعاقب الأجيال ، وآوى النحل إلى حدائق الصيف
وابتسم القمر لزنابق الليل ، وأومض الضوء للسحب
بقبلاته المشتعلة وفر ضاحكا . .
كان الشاعر قائماً فى ركن من الأركان
مع الشجر والسحاب .
وما زال قلبه صامتاً كالزهرة
يراقب أحلامه كهلال السماء
ويطوف كنسيم الصيف فى غير غرض

* * *

وفى أمسية من أمسيات أبريل
بزغ القمر كالفقاعة من أعماق الشمس الغاربة

بينما كانت إحدى الفتيات تروى النبت

وأخرى تطعم ظبيتها وفتاة ترقص طاووسها

برز الشاعر وهو يغنى وينشد الناس :

أصغوا إلى أسرار الحياة : إننى أعرف :

إن الزنبق باهت اللون لأنه يعشق القمر

وأزهار اللوتس تلقى عنها اللثام ، أمام شمس الصباح

والسبب بسيط لو تعلمون .

لقد فات العالم معنى همس النحل

ولكن الشاعر يعرفه

* * *

نزلت الشمس وقد اكتسى وجهها بالخجل

وتدانى القمر خلف الشجر

وهمست رياح الجنوب إلى زهرة اللوتس

وصاحت إن الشاعر لم يكن ساذجاً كما يبدو

وصفق الفتيان والفتيات بأيديهم

ثم صاحوا لقد انكشف سر الحياة

ونظر كل منهم إلى الآخر وغنى ،

فلتذهب إذن أسرارنا كذلك مع الرياح

الأنسان والغابة

يقال فى الكتاب : إن الإنسان إذا بلغ الخمسين
عليه أن يترك الدنيا الصخوب ، ويأوى إلى عزلة الغابة
ولكن الشاعر يدعى أن صومعة الغابة قد أعدت للشباب
فهى مولد الأزهار ، ومأوى الطيور والنحل
وبها مكامن تخفق فيها همسات العاشقين
وتنبعث رسالة عميقة هنالك
حيث يحنو القمر ليقبل زهرة الماضى ،
وإن من يفهمون ذلك أقل من الخمسين بكثير

* * *

ولكن الشباب ويا للأسف عنيد
ولا محالة من تغيير الوضع ، فينصرف الشيوخ إلى المساكن
ويذهب الشباب إلى ظلال الغابه
ويرضخون لأحكام العواطف القاسية

زهرة الجمبا

تفتحت عن زهرتى وقد تنفس أبريل آخر أنفاسه
ولفح الصيف بقبلاته الأرض المتمنعه
أتيت بين الخوف والفضول
كولد شقى يسترق النظر فى صومعة ناسك

* * *

سمعت همس الخوف ينبعث من الغابة المعراه
والكوكل يكشف بصوته عن كلال الصيف وفتوره
ورأيت الحياة عابسة قاتمة شاحبة
من بين أستار أوراق الشجر
التى تخفق على حجرة مولدى

* * *

ولكننى خرجت قوية بإيمان الشباب
ونهلت الخمر المتوهجة من كاس السماء الزاهية
وحييت الصباح فى زهو وكبرياء
أنا زهرة الچمبا التى أحمل فى فؤادى أرج الشمس

اغــلالى

يا أغلالى . لقد كنت موسيقى تطن فى فؤادى
كنت أعزف عليك طوال النهار ، وأجعلك حليتى
كنا خير أصدقاء أيتها الأغلال ! !

* * *

فيما مضى من الأيام كنت أخشاك
ولـكن خوفى لم يكن إلا ليزيدنى حباً فيك
كنت رفيقتى طوال الليل الحالك
إنى لأغنى إليك قبل وداعك أيتها الأغلال

رثاء

أأنت صورة فحسب ، ولست حقيقة
كهذه الكواكب السارية وهذا الثرى ؟
إنها تنبض بقوة الحياة
ولكنك جد بعيدة فى صورتك الساكنة

* * *

كان النهار نهاراً حين كنت تسيرين معى ،
أنفاسك دافئة وأعضاؤك توقع ألحان الحياه
وكانت تجد دنياى حديثها فى صوتك
وتلمس قلبى بوجهك
ولكنك وقفت بغتة عن المسير
فى ظلال الأبد وسرت أنا وحيدا

* * *

الحياة كالطفل ، تضحك
وتهتز بأنفاس الموت وهى تجرى فى سيرها
تومىء إلى فأسعى وراء ما لا تراه العيون
ولكنك تقفين فى مكانك حيث كنت
خلف الثرى ووراء تلك النجوم
وأنت بعد صورة فحسب

* * *

كلا هذا لا يكون ، هل وقف فيض الحياة فيك إلى الأبد ؟
إنه ليقف النهر فى تدفق مائه
وتختنق أقدام الفجر فى إيقاع ألوانه

* * *

هل يتلاشى لمعان شعرك الحالك
فى الظلام الذى ليس وراءه أمل لآمل ؟
إن ظلال غابة الصيف قد تتلاشى بأحلامها

* * *

أصحيح أنى أنساك ؟

لقد أسرعنا إلى نسيان الأزاهر المتفتحة على طول الطريق

غير أنها تتنفس — على غير مهل — فى نسياننا ونملؤه بالألحان

لقد بارحت عالمى ، لتحتلى مكانك فى جذور حياتى

وهذا النسيان يتلاشى التذكر فى صميم أعماقه

* * *

لم تعودى بعد ماثلة حيال ألحانى

ولكنك اندمجت فيها

أتيت إلى مع أول شعاع يحمله الفجر

وفقدتك مع آخر نضار تبقى من المساء

الهلال

[يرمز تاجور بكلمة الهلال إلى الطفل وتضم هذه المجموعة خير ما كتب عن الطفل فى الشعر . ويتمثل فيها إحساسنا نحو هذا المخلوق الصغير الذى نسميه الطفل واحساسه هو نحونا . وقد نظمها الشاعر باللغة البنجالية ثم نقلت إلى اللغة الإنجليزية وطبعت وأعيد طبعها عدة مرات وهى على بساطتها تكشف عن عمق الحس ولطف الذوق مع جمال التصوير ودقة التعبير وسمو الخيال]

طريق الوليد

لو أراد الوليد أن يطير لطار لساعته إلى أجواز الفضاء

ولكنه لأمر ما لا يود أن يبارحنا

إنه ولا شك يريد أن يضع رأسه فى أحضان أمه

وإنه لا يحتمل أن يفارق صورتها على الإطلاق

* * *

الوليد يعرف الكلمات الحكيمة

وإن كان قليل من الناس الذين يفهمونها

ولكنه لأمر ما يصدف عن الكلام

والشيء الوحيد الذى يريده .

هو أن يتلقى كلمة أمه من بين شفتيها

من أجل ذلك نراه على هذا السمت من البراءة والصمت

* * *

لقد كان لدى الوليد أكداس من الذهب والجواهر الثمينة

ولكنه أتى إلى هذه الأرض كالسائل المحروم

لأمر ما يأتى فى هذه الصورة المتنكرة !!

إن هذا المتسول الصغير العارى الجسد العزيز إلينا

يدعى أنه مسلوب العون إلى أقصى حد

ليلتمس ما لدى أمه من ذخيرة الحب

* * *

كان ، الوليد مطلقا من كل قيد ، فى أرض الهلال الصغير
ولـكنه لأمر ما قد تنازل عن حريته
فهو يعرف أن لديه مجالا لسعادة لاحد لها
فى ذلك الركن الصغير الذى أعد له فى قلب أمه
بيد أنه رأى أن ضمه بين ذراعيها العزيزتين
أعذب إليه وأحلى من الحرية

* * *

لم يكن يدرى الوليد ما البكاء فهو يسكن فى دار مكتملة السعادة
ولـكنه لأمر ما اختار أن يذرف الدمع
فهو يعرف أنه إذا كان يستدر العطف من قلب أمه
بتلك الابتسامة الرقيقة التى تشع فى وجهه المحبوب
فأن عويله البسيط مما يعانى من المتاعب الصغيرة
ينسج حوله رباط الشفقة والمحبة

البـــــداية

سأل الطفل أمه ، من أين أتيت يا أمى ؟
ومن أى مكان التقطتنى يداك ؟
فضمته أمه إلى صدرها ، وأجابته بين الصياح والضحك
لقد كنت يا بنى العزيز أمنية تطوف بقلبى
كنت تتمثل لى فى اللعب التى ألهو بها وأنا طفلة صغيرة
وكانت الصور التى أصنعها بالطمى لآلهتى كل صباح
صورتك أرسمها ثم أمحوها

* * *

كنت كنزاً مدخراً لى مع آلهة المنزل
وفى عبادتى لها كنت أعبدك
كنت تعيش فى كل آمالى وحبى
وفى حياتى وحياة أمى

ولقد ربيت فى أحضان تلك الروح

التى تحكم فينا منذ أجيال طويلة

فلما تفتحت زهرة قلبى وأنا فتاة

أصبحت تحوم حولها كالعبير

كانت غضارتك تزدهر على أطراف ثيابى

كالضوء الذى يغمر السماء قبل شروق الشمس

ومع نور الصباح ولد أول عزيز للسماء

ثم أخذت تسبح فى مجرى الحياة

حتى رسوت على شاطىء قلبى

* * *

فإذا ما نظرت إليك قهرتنى تلك الأسرار الخفية

التى جعلتك لى وأنت متصل الوشائج بكل ما فى الحياة

وإنى لأضمك إلى صدرى لشدة خوفى عليك

أى سحر ذلك الذى وضع بين ذراعى الرقيقتين

كنز الحياة الثمين

زوارق الورق

من يوم لآخر ألقي زوارقي التي أصنعها من الورق
الواحد تلو الآخر في مجرى الماء
وأخط اسمي عليها واسم القرية التي أعيش فيها
بحروف كبيرة سود
عسى أن يجدها أحد في بلد غريب فيعرفني
أملأ زوارقي بأزهار « الشيوال » التي أجمعها من حديقتنا
لعل هذه الأزهار التي يتفتح عنها الفجر
ترسو على الشاطىء عند المساء
أملأ زوارقي وأنظر إلى السماء
فأجد السحب الصغيرة ، وقد نشرت قلاعها المنتفخة البيض
لا أدري أي رفيق في السماء يرسلها لتسابق زوارقي الصغيرة
فإذا جاء الليل أدفن وجهي بين ذراعي
فأحلم بأن زوارقي تسبح ثم تسبح تحت نجوم الغسق
وقد أقلع فيها جن الرقاد ، وملئوها بحقائب الأحلام

مدرسة الأزهار

إذا أرعدت السحب العاصفة فى السماء

وتساقطت الأمطار فى شهر يونيو

ومشت الرياح الغربية الرطبة على الأرض

لتنفخ مزاميرها بين أشجار الخيزران

خرجت الأزهار تتزاحم بغتة من حيث لا تدرى

وأخذت ترقص على الحشائش فى ابتهاج

إننى لأظن يا أماه أن الأزهار

لها مدرسة تذهب إليها تحت الأرض

فهى تذاكر دروسها والأبواب مغلقة عليها

فإذا أرادت أن تخرج للعب قبل موعدها

أوقفها معلمها فى ركن الردهة

وعند قدوم المطر تأتى إجازتها

* * *

الأغصان فى الغابة تتصادم

وأوراق الشجر تتضارب

والسحب المرعدة تصفق بأيدى الجبابرة

وأطفال الأزهار تندفع فى ملابسها القرمزية والصفراء والبيضاء

ألا ترين أنها تتوق إلى الذهاب هنالك ؟

أتعرفين لماذا هى تسرع هكذا ؟

إنى ولا شك أستطيع أن أعرف لمن هى ترفع أذرعتها هكذا

إن لها أماً مثلى تشير إليها يا أماه

ساعى البريد

لماذا تجلسين على الأرض فى سكون وصمت
خبرينى ما السبب يا أمى العزيزة
ها هو المطر يبللك وهو يتساقط على نافذتك المفتوحة
وأنت لا تحفلين
أتسمعين الساعة تدق الرابعة ؟
هذا وقت مجىء أخى من المدرسة
ماذا أصابك حتى أراك فى هذا المظهر المريب
ألم يصلك كتاب من أبى اليوم ؟
إنى رأيت ساعى البريد يحضر فى حقيبته خطابات
لكل من فى المدينة
أما خطابات أبى فهى وحدها التى يحفظها معه ليقرأها
لا أشك أن ساعى البريد رجل خبيث

ولكن خفق عنك يا أمى العزيزة
إن غداً يوم سوق القرية المجاورة
أطلبى إلى خادمتك أن تحضر لى قلماً وورقاً
سأكتب بنفسى كل خطابات أبى
وسوف لا تجدين فيها غلطة واحدة
سأكتب من أ . إلى ك ولكن لماذا تبسمين يا أمى ؟
ألا تصدقين أننى أستطيع أن أكتب خطاباً لطيفاً مثل أبى ؟
سأضع أوراقى بعناية فائقة ، وأكتب كل خطاباتى
بحروف كبيرة جميلة
فإذا فرغت من كتابتى أتظنين أننى سأكون فى حماقة أبى
فأسقطها فى حقيبة ساعى البريد ؟
كلا سأحضرها إليك بنفسى دون انتظار
وسأساعدك على قراءة خطى عند تلاوة كل خطاب
فأنا أعرف أن ساعى البريد لا يريد أن يعطيك
الرسائل الحقيقية الجميلة

المساومة الاخيرة

ناديت وأنا أسير فى طريق معبد بالأحجار عند الصباح
« استأجرونى »
فجاء الملك فى عربته والسيف فى يمينه
ثم رفع يدى وقال « سأستأجرك بقوتى »
ولكن قوته لم تجد شيئاً . وذهب بعربته

* * *

وفى قيظ الظهيرة والبيوت مغلقة الأبواب
تجولت فى الطريق المنعرج
فجاءنى رجل عجوز فى يده كيس من الذهب
فاتجه نحوى وقال « سأستأجرك بنقودى »
وأخذ يزن أكياس نقوده واحداً واحداً

ولكنى انصرفت عنه

* * *

وفى المساء . والحديقة مكللة بالأزاهر

خرجت لى الفتاة الحسناء وقالت :

سأستأجرك بابتسامة

ولكن ابتسامتها تلاشت وذهبت فى الهواء

ووليت عنها فى الظلام

* * *

وبينما أسير وأشعة الشمس تبرق على الرمال

وأمواج البحر تتراءى بقوة وعناد

رأيت طفلا يلعب بالقواقع

فرفع رأسه إلى وكأنه يعرفنى ثم قال

سأستأجرك بلا شىء

منذ ذلك الوقت وأنا أشعر بأن هذه المساومة

التى جذبتنى إلى لعب الطفل ، قد جعلت منى الرجل الحر

الافـــتراء

لماذا يا طفلى تترقرق هذه الدموع فى عينيك
ما أقسى قلوبهم . إنهم يؤنبونك لغير ما سبب
لقد لوثت أصابعك ووجهك بالحبر وأنت تكتب
ألهذا يصمونك بالقذارة ؟
ويحهم أيستطيعون أن يصموا بدر التمام
بالقذارة لأنه لوث وجهه بالحبر

* * *

إنهم يا طفلى الصغير يؤنبونك لكل هنة من الهنات
وهم على استعداد دائم لكى يتلمسوا لك الأخطاء
أنت تمزق ملابسك وأنت تلعب
ألهذا السبب يقولون إنك : طفل طائش
ويحهم بماذا يسمون صباح الخريف

وهو يبتسم لسحبه الممزقة

* * *

لا تعبأ يا طفلي بما يقولون لك
إنهم يعدون قائمة طويلة بأخطائك
كل إنسان يعرف مقدار حبك لكل ما يحلو
ألهذا السبب يدعونك جشعاً
ويحبهم . بماذا إذن يدعوننا نحن الذين نحبك

سادهانا

[السادهانا مجموعة من أحاديث تاجور ومحاضرته ، ألقاها فى جامعة هارفرد وقد جمعت الكثير من آرائه فى كثير من شئون الحياة ، وقارن فيها بين حياة الهند ومعتقدها وحياة الغرب وآرائه . ونعى على الغرب تعلقه بالمادة وانصرافه عن حياة الروح مما جعله يعيش فى عالم الأثرة والبغضاء وينصرف عن الطبيعة التى تصل بين الإنسان وبين الكون وبينه وبين الخالق الذى هو سرور الحياة وبهجته . وقد ترجمت السادهانا إلى كثير من اللغات الحية وكان لها أثر كبير فى فهم حكمة الهند كما يفهمها تاجور]

الإنسان والكون

يقول تاجور فى السادهانا تحت هذا العنوان :

نشأت المدنية الغربية القديمة بين جدران المدينة ، وفى الواقع أن معاثر المدنيات الحديثة قد وجدت مهادها فى الطين والآجر .

إن هذه الجدران لتطبع أثرها العميق على عقول بنى الإنسان

حتى لقد شغلت بصائرنا بالنظرية القائلة ... « فرق تسد » فاعتدنا أن نحيط فتوحنا بالحصون ونفصل بعضها عن الآخر ونحن بهذا نحول بين أمة وأمة ، وبين ثقافة وثقافة ، وبين الإنسان والطبيعة . وقد نما فى نفوسنا شك فى كل ما هو خارج عن الحدود التى أقمنا بناءها بأيدينا . وأصبح كل شيء فى الحياة وهو يناضل ليحتل مكانه من تقديرنا .

لقد كانت الهند أرضاً ذات غابات شاسعة ، حين دخلها أول فاتح من الآريين وسرعان ما انتفع بها الوافدون . فقد أمدتهم تلك الغابات : بالمأوى الذى يقيهم حرارة الشمس المهلكة والأحراش التى يتحصنون بها من العواصف الاستوائية الجائحة ووجدوا بها مرعى لأغنامهم ووقوداً لنيرانهم المقدسة ، وتيسرت لهم فيها الأداة التى يستخدمونها فى بناء أكواخهم .

ويقول : ... وجاء على تلك الغابات حين من الدهر فتحولت إلى حقول مزروعة ، وظهرت على جوانبها مدن ذات ثروة وقامت دول كبيرة تتصل بسائر قوى العالم العظمى . ولكن قلب الهند حتى فى تلك الأيام ذات المجد المادى ، كان يتطلع إلى الوراء على الدوام ،

متجها بحبه إلى تلك المثل القديمة التى تدعو إلى معرفة النفس وإلى العزة التى يعرفها فى حياة الغابة البسيطة ، ولقد استمد وحيه الأعلى من حكمتها الخالدة ·

وقد يرى الغرب من عوامل فخاره أن يخضع الطبيعة كما يخال ، كأنما نحن نعيش فى عالم عدو لنا وأن علينا أن نغتصب كل ما نريد من هذا العالم بحكم نظام غريب عنا من دأبه أن لا يجود علينا بشىء . ولقد نشأ هذا الشعور بحكم العادة والتفكير الناشئين بين جدران المدينة · فالرجل الذى يعيش فى المدينة · بطبيعته يخلع ذلك النور العميق الذى يحمل صورة تفكيره على حياته وأعماله الخاصة . ومن ثم ينشأ انفصال مصطنع بينه وبين الطبيعة الشاملة التى يعيش بين أحضانها ·

ويقول : ... كان فتح الهند الأول له شبيه بفتح الغزاة الأوربيين أمريكا لقد وجـــدوا أنفسهم أمام غابات فطرية وكان عليهم أن يواجهوا قبائل غير معهودة · إلا أن هذا الكفاح بين الإنسان والإنسان ، وبين الإنسان والطبيعة قد أخذ حده إلى النهاية ولم ينته عند غاية . فقد أصبحت هذه الغابات التى كان يسكنها قبائل الهمج

فى الهند معبداً يأوى إليه الحكماء . أما فى أمريكا فإن هذه المعابد الطبيعية العظيمة الحية لم يكن لها شأن كبير فى نفس الإنسان ، وإن كانت قد فاضت عليه بالثروة والقوة . وربما كانت وسيلة لأمتاعه بالجمال فى بعض الأحيان أو لعلها : ألهمت شاعراً حى الوجدان . ولكنها لم تكن لها عندهم ذلك الامتزاج المقدس بقلوب الناس باعتبارها مقرا للتوفيقات الروحية الكبرى ، حيث تجتمع روح الإنسان بروح العالم .

إننى لا أود لحظة واحدة — أن أشير بتغيير هذا الوضع فمن ضياع الفرص أن يتكرر التاريخ فى كل مكان على نظام واحد ومن أنجع الوسائل فى تجارة الروح أن تتقدم الشعوب المختلفة المواقع ، بشتى نتاجها فى سوق الإنسانية ، حتى يتمم كل منها الآخر ويقوم بسد حاجته .. وكل ما أريد أن أقول : إن الهند فى بدء حياتها قد التقت بمثل هذه الظروف ولكن لم يكن مصيرها لديها الضياع . فقد استطاعت بحكم ظروفها أن تفكر وتروى وتجد وتحتمل الآلام ، وأمكنها أن تنغمس فى أعماق الوجود ، وتستكشف أمراً لا شك أن قيمته لم تكن لتعرف عند الشعوب التى اتخذت لنفسها سبيلا فى التايخ

يختلف عن سبيلها كل الاختلاف . إن الإنسان يحتاج لتمام نموه إلى سائر العناصر التى تتكون منها حياته المركبة ، لذلك فأن طعامه يزرع فى شتى الحقول . ويجلب من مختلف المنابع .

وما أشبه المدنية بقالب تعده كل أمة لتصوغ فيه رجالها ونساءها على أحسن وجه تريد . وإن سائر أنظمتها وشرائعها وما تستحسنه وما تمقته وما تعيه وما لا تعيه ينطبع بهذا الطابع .

وتحاول المدنية الحديثة فى الغرب بسائر ما لديها من الجهود المنظمة أن تصل بأبنائها نحو الكمال بالكفاية المادية والعقلية والخلقية . وينصرف جل نشاط هذه الأمم إلى بسط نفوذ الإنسان على كل ما يحيط به . ويبذل الناس كل ما لديهم من قوة ليجعلوا فى حوذتهم كل ما يستطيعون أن يضعوا أيديهم عليه ليتغلبوا على سائر العوائق التى تقف فى طريقهم إلى الظفر . وإنهم ليكرسون حياتهم لمكافحة الطبيعة والتغلب على الشعوب الأخرى . وأن أسلحتهم لتزداد عظمة ، وتتكاثر آلاتهم وأجهزتهم وأنظمتهم إلى درجة تدعو إلى الإعجاب .

هذا تقدم عظيم ولاشك . ومظهر عجيب ينم عن مقدرة الإنسان

التى لا يعوقها عائق . تلك المقدرة التى تهدف إلى فرض سطوته على كل ماعداه .

أما مدنية الهند القديمة فلها مثلها الأعلى الذى تنصرف إليه جهودها . فلم يكن من همها الوصول إلى القوة . فقد أهملت تربية قواها إلى أقصى حد . ولم تعن بتدريب رجالها على أغراض الدفاع والهجوم ليتعاونوا على مطالب الثروة ، ويبلغوا السيادة فى الحروب والسياسة .

وقد قاد مثل الهند الذى حاولت تحقيقه خيرة رجالها إلى حياة فكرية منعزلة وكلفتها تلك الذخائر التى اكتسبتها للانسانية بتوغلها فى أعماق الحقيقة وخفاياها كثيرا فى ميدان النجاح العالمى . إلا أن عملها هذا مع ذلك ربح عظيم فقد كان مظهرا كبيرا لذلك الطموح الإنسانى الذى لا يعرف له حدا ، ولا يجعل نصب عينيه أقل من تحقيق مالا حد له .

لقد كان للهند فضلاؤها وحكماؤها وشجعانها ، وكان فيها رجال السياسة والملوك والأباطرة ، ولكن من هم الذين اختارتهم بين هذه الطبقات ؟

إنهم طبقة « الريشز » ومن هم أولئك الريشز ؟ هم الذين وصلوا

إلى الروح الكبرى بالمعرفة وامتلأت نفوسهم بالحكمة واتحدوا الاتحاد التام بالنفس الباطنة إذ رأوه فى وحدة مع الروح . وقد تحرروا من النزعات الذاتية ، لأنهم وجدوه فى القلب . ونالوا الدعة لأنهم رأوه فى سائر قوى العالم . والريشز هم الذين بوصولهم إلى الله تعالى من كل جانب وجدوا استقرار السلام واتحدوا بكل مافى الوجود وولجوا حياة الكون .

وهكذا فإن تحقيقنا تلك الصلة التى تربطنا بكل ما فى الوجود . وتجعلنا نوغل فى صميم كل شىء باتحادنا بالله ، كان يعتبر فى الهند الغاية القصوى والكمال الذى تصبو إليه الانسانية .

إن الإنسان يستطيع أن يدمر وينهب ، ويستطيع أن يكسب ويجمع ويخترع ويستكشف ولكنه لا يعد عظيما إلا لأن روحه تدرك كل شىء . وأشد الدمار الذى يحل بالانسان يحل به إذا كان يضع روحه فى غلاف ميت من العادات المتحجرة وتحيط به الأعمال كالأعصار العاصف الذى يسد بغباره أجواز الفضاء . ولا شك أن هذا من شأنه أن يقضى على روح وجوده فى صميمها . وهى الروح المدركة .

إن الانسان فى حقيقته لم يكن عبداً رقا لنفسه ولا للعالم ، ولكنه محب . ينال حريته وكماله فى حبه . وهو اسم مرادف للادراك التام . بهذه القدرة على الادراك ، وهذا التوغل فى وجوده يتصل بالروح التى تشمل كل شىء فى الوجود . وهى كذلك متنفس روحه . وحيثما حاول الانسان أن يدفع نفسه إلى قمة الشهرة بدفع من عداه وصده كى ينال صفة يفاخر بها كل إنسان ، ينفصل عن هذه الروح . من أجل هذا نجد أن « الابنشاد[1] » يصف أولئك الذين أدركوا هدف الحياة الإنسانية بأنهم « آمنون » وأنهم « فى وحدة مع الله » ويعنى أنهم فى انسجام تام مع الانسان والطبيعة فهم فى وحدة لا تنفصم بالله .

---

(١) من كتب الهند المقدسة تشبه المتون فى القصيدة وتحتوى أكثر المذاهب الفلسفية .

الوعي الروحي

تحت هذا العنوان أوردت السادهانا فصلا ضافيا فى مسألة الروح نذكر منه مايأتى . . يقول تاجور :

لقد عانى الإنسان كثيرا وعاش فى عالم المخاوف ردحا من الزمن قبل أن يهتدى إلى فكرة اتحاده بقانون الطبيعة وكانت الدنيا شيئا غريبا عنه حتى ذلك الزمن . وما ذلك القانون الذى استكشفه سوى إدراك تلك الوحدة التى تربط بين العقل الذى هو روح الإنسان وسائر أمور الحياة .

هذا هو وثاق الوحدة الذى وصل بينه وبين العالم الذى يعيش فيه ، وبه يعرف نفسه فيما يحيطه . إننا إذا وصلنا إلى إدراك شىء من الأشياء ، فمعنى هذا أننا نجد فيه شأنا ، وينشأ سرورنا به ، لأننا نرى أنفسنا فيما هو خارج عنها ، إلا ان هذه الصلة صلة الإدراك شىء جزئى ،

أما الصلات الكاملة فهى صلات الحب ، فنى الحب يتلاشى كل شعور بالاختلاف ، وتنصرف الروح إلى غرضها الأسمى نحو الكمال ، متخطية حدودها إلى اللانهاية .

فالحب إذن هو أسمى ما يصل إليه الإنسان من سعادة وفيه وحده يستطيع أن يعرف معرفة تامة أنه شيء أكثر من نفسه وأنه فى وحدة مع سائر الوجود .

إن فكرة هذه الوحدة التى تتمثل فى روح الإنسان تبقى حية على الدوام ، وتبدو وشائجها البعيدة المدى فى الأدب والفن والعلم والمجتمع والسياسة والدين وإن رسلنا العظماء هم الذين يفسرون معنى الروح أحسن تفسير ، بتضحيتهم النفس فى سبيل سعادة بنى الإنسان ، وإنهم ليتحملون الوشايات والاضطهاد والحرمان فى سبيل الحب ، وهم يحيون حياة الروح لاحياة النفس ، ويبرزون لأعيننا الحقيقة الإنسانية فى أسمى مراتبها . وندعو هؤلاء باسم « مهاتما » أى ذوى الأرواح الكبرى .

يقال « فى الأپنشاد » إنك لاتحب ولدك لأنك تريده ولكن

لأنك تحب روحك ، ومعنى هـــذا أننا نرى أنفسنا فى مراتبها فيمن نحب ، وفى هذا غاية الحقائق فى أمر وجودنا .

إن الروح الأعلى « باراماتما » كائن فى نفسى كما هو فى ولدى وإنه سرورى به هو مظهر تلك الحقيقة ، ومن البدائه المعلومة:

أننا نسر بسرور من نحبهم ، ونتألم لألمهم على ما فى ذلك من الغرابة عند إمعان التفكير فيه . لم كان هذا ؟ هذا لأننا نكبر بوجودهم ونلمس تلك الحكمة البالغة التى تشمل سائر الكون .

ويقول فى هذا الفصل : ويعرض للكلام عن يقظة الروح ...

إن مذهب الخلاص الذى يدعو إليه براهما هو الخلاص من « أفيديا » وأفيديا هى الجهل الذى يظـــلم وعينا ويضعه فى حدود نفسنا الذاتية . وهذا الجهل أفيديا ، هذا التحديد لوعينا هو الذى يخلق الانفصال الذاتى العنيف ، فتصبح النفس منبعا لسائر أنواع الكبرياء والشهوة والقسوة الصادرة عن البحث وراء الذات . إن الإنسان حين ينام يظل فى سجن قواه المادية الضيقة فهو يعيش ولكنه لا يعرف علاقات حياته المختلفة بما يحيط به . ولذلك فهو لا يعرف نفسه ، والإنسان الذى يحيـا حياة الجهل « افيديا » يعيش منطويا فى ظلمات

نفسه ، فهو فى رقاد روحى .. ووعيه لا يتيقظ لأسمى ما يحيط به من الحقائق . ولا يعرف حقيقة روحه . فإذا وصل إلى بودهى : التيقظ من رقاد الروح وانتقل إلى الوعى التام يصبح بودا .

قابلت ذات يوم رجلين من النساك الذين ينتسبون إلى إحدى الديانات ، فى قرية من قرى البنغال فسألتهما هل تستطيعان أن تدلانى إلى الصفات الخاصة التى تتسم بها دياناتكم . فتردد أحدهما لحظة ثم قال إن من الصعب أن نحدد لك ذلك . وقال الآخر ، كلا إن الأمر جد بسيط فأول ما يجب أن نعرفه ، هو أن نعرف روحنا بأرشاد معلمنا الروحى ، فإذا ما انتهينا من ذلك أصبح من السهل علينا أن نجده هو ، أى الروح العليا التى فى أعماق نفوسنا . قلت ولماذا لاتعلن مذهبك هذا لسائر العالم ، فأجاب : إن من يحس الظمأ الدائم سيسعى إلى النهر من تلقاء نفسه ، قلت أتعتقد أن الأمر كذلك ؟ أو تظنهم قادمين ؟ فابتسم الرجل ابتسامة رقيقة ، وأجاب فى ثقة لاتشوبها شائبة من التسرع والقلق « لاشك أنهم سيردون زرافات ووحدانا » .

أجل إنه لعلى صواب ذلك الناسك البنغالى الريفى ، إن الإنسان يحس حاجته إلى إشباع رغباته التى هو فى حاجة إليها أكثر من حاجته

إلى المطعم والملبس ، وان عليه أن يجد نفسه .. إن تاريخ الإنسان هو تاريخ رحلته إلى المجهول فى سبيل تحقيق نفسه الخالده أعنى الروح .

فالإنسان : إذا نظرنا إلى ارتفاع الممالك وسقوطها ، وجمع الثروات العظيمة وتبديدها . بغير رحمة ، وخلق الاجسام الرمزية الهائلة التى تمثل أحلامه وإلهاماته ونبذها كما ينبذ الطفل أدوات لعبه ، وفى تكوين مفاتيحه السحرية التى يفتح بها خبايا الخليقة ، وفى نبذه أعمال العصور الغابرة ، ورجوعه إلى مصنعه لخلق صور جديدة أجل إنه فى ذلك جميعه يسير من مرحلة إلى مرحلة نحو تحقيق روحه فى أقصى الحدود . تلك الروح هى أعظم من الأشياء التى يجمعها الإنسان والأعمال التى ينجزها والنظريات التى ينشئها ، والروح التى لن يوقفها الموت او الاضمحلال . إن أخطاء الإنسان وسقطاته مهما تكن تفاهتها وحقارتها قد نشرت فى طريقه ركاما من الخرائب المكدسة ، وكانت آلامه كآلام المخاض التى تتجمع لولادة طفل جبار . فهى فاتحة نجاح يؤدى بنا إلى اللانهاية . لقد شاهد الإنسان كثيرا من صور الاستشهاد على مختلف أنواعه . وكانت أنظمته هى المحاريب التى بناها ليقدم قرابينه اليومية ، عظيمة فى نوعها كثيرة فى عددها وان هذا

جميعه ليصبح ولا معنى له ولا يمكن أن يحتمل إذا لم يكن يشعره بسرور الروح العميق فى صميم نفسه ذلك الشعور الذى يثبت قوته المقدسة باحتمال الآلام ويدل على ثروته التى لا تنفد .

أجل إن السفر سيردون زرافات ووحدانا ويسعون إلى ميراثهم الصحيح فى هذا العالم . وستتسع دائرة وعيهم إلى الأبد وسيبحثون على الدوام عن وحدة اسمى واسمى ، ويقتربون دائما من مركز الحق الذى يشمل كل ما فى الوجود .

مسألة الشر

[لتاجور رأى فى مسألة وجود الشر فى الحياة وهى من المسائل التى حارت فى تعليلهـا عقول الحكماء فى مختلف العصور وحلها الهنود بفكرة تناسخ الأرواح ، وهـذا الرأى يرضى المؤمنين بهذه الفكرة ويرضى المفكرين من المتدينين وغير المتدينين] يقول :

إن الذى يسأل لماذا وجد الشر فى الحياة ، كمن يقول لماذا وجد النقص فيها ، أو لماذا كانت الخليقة بصفة عامة ! والذى يجب علينا أن نتأكد منه هو أن الحياة لا يمكن أن تكون على خلاف هذا . أى أن الخليقة يجب أن تكون ناقصة . وأنها تتدرج فى طريقها نحو الكمال ومن العبث أن نتساءل . لماذا نحن فى هذا الوجود ؟

والسؤال الصحيح الذى ينبغى لنا أن نسأله هو : هل هذا النقص هو الحقيقة الأخيرة ؟ هل الشر فى الحياة شىء كلىّ ونهائى فى ذاته ؟ إن النهر له حدوده وشطآنه ، ولكن هل الشطآن هى النهر ذاته ؟

أو هل الشطآن هى الحقيقة الاخيرة التى يمكن أن نفهمها عن النهر ؟ أليست هذه الحدود والعوائق نفسها هى التى تحرك ماءه وتدفعه إلى الأمام ؟ وإذا كان الحبل يستخدم رباطا للسفينة ؟ أليس هذا الحبل فى نفس الوقت يقودها إلى الأمام ؟

إن تيار الحياة له حدوده ، وإلا لم يكن فيها وجود . إلا أن غرضها لا يبدو فى الحدود التى تحجزها ، وإنما يتجلى فى حركتها التى تقودها نحو الكمال . وليس الأمر أن الحياة يجب أن تكتنفها العوائق والمشقات ، ولكن الأمر أن يسودها القانون والنظام ، والجمال والسرور ، والخير والحب ، وفكرة الله الكائنة فى نفس الإنسان هى أعظم الأمور . لقد أحس الانسان فى أعماق حياته أن ما يبدو غير كامل هو مظهر الكمال . وما أشبهه بالسامع الذى وهب أذنا موسيقية ، يدرك جمال اللحن ، وهو إنما يصغى لتعاقب النغمات الموسيقية . وقد أدرك الإنسان ذلك التناقض العظيم الذى يبدو فى أن المحدود لا يبقى محبوساً فى حدوده فهو فى حركة دائمة ، ولذلك فهو يبسط حدوده فى كل لحظة وفى الواقع أن النقص ليس معناه إنكار

الـكمال . والمحدود لا يناقض غير المحدود ، وإنما هو الـكمال فى أجزائه المتفرقة ، وغير المحدود فى نطاق المحدود .

وليس الألم وهو شعورنا بأننا محدودون ، أمرا لزاماً فى حياتنا . فهو ليس نهاية فى حد ذاته شأن السرور . وإذا واجهناه عرفنا أنه ليس له مكان صحيح فى حياة الخليقة — الدائمة وهو فى هذا كالغلطة فى حياتنا الفكرية . فنحن إذا اطلعنا على تاريخ تقدم العلوم أذهلتنا كثرة ما فيه من الأخطاء التى تكونت فى مختلف العصور . وليس فى الوجود من يعتقد فى الحقيقة أن العلم هو الطريق الصواب لنشر الأخطاء . وإنما العبرة فى تاريخ العلم بما يسجله من الحقائق ، لا ما يرتكبه من الأخطاء العديدة .

فالخطأ فى طبيعته ليس شيئاً ثابتاً ، ولا بقاء له مع الحقيقة وهو فى ذلك كالأفاق الذى يسرع إلى ترك منزله عند ما يشعر بأنه لا يفى بسائر حاجاته .

ويقول : ... ... إن النقص الذى لا يكون نقصاً جميعه ويكون له كمال كمثل أعلى ، لابد أن يسير فى طريقه المتواصل نحو تحقيق الحياة . وكذلك فإن وظيفتنا الفكرية هى أن ندرك الحق فى تجربتنا لأنواع

الباطل . والمعرفة ليست سوى احتراق متصل للخطأ لتحرير ضياء الحق . وإنما تصل إرادتنا وأخلاقنا إلى الكمال بالتغلب على الشر دائماً داخل نفوسنا أو خارجها . أو فى الاثنين معاً .

إن حياتنا المادية لتستهلك كل لحظة كثيراً من المواد الجسمية لتستبقى نيران الحياة فيها . وكذلك حياتنا الأدبية تحتاج إلى الوقود الذى تحرقه . وهى تسير قدماً نحو التقـــدم . . وقد عرفنا ذلك وأحسسناه ، ولدينا إيمان لا يتزعزع بأن اتجاه الإنسانية يسير من الشر إلى الخير . لأننا نشعر بأن الخير هو العنصر الإيجابى فى طبيعة الانسان . وفى كل عصر وكل أرض لا يقدر الانسان شيئاً كمثله الأعلى فى الخير . لقد عرفنا الخير وأحببناه ومنحنا أسمى ما لدينا من التبجيل لهؤلاء الذين أظهروا فى حياتهم ذلك الخير .

ويقول فى هذا االباب ... ويتسع معنى الحياة لدى الإنسان الذى يعيش لأجل فكرة معينة ، لخدمة وطنه أو لخير الانسانية ، ويصبح الألم شيئاً أقل أهمية بالنسبة إليه . إن الذى يعيش لأجل الخير يعيش للجميع وإنما السرور يجنيه الانسان لنفسه . ولكن الخير يعمله لسعادة الانسانية فى كل عصر وأوان .

وإذا نظرنا إلى ناحية الخير بدا لنا السرور والألم فى معنى مختلف . فيكون السرور مضيئا والألم محبباً والموت نفسه شيئاً يرحب به لأنه يعطى قيمة عليا للحياة . وفى مواقف الإنسان العليا فى الحياة تفقد جوانب الخير والسرور والألم قيمتها الكلية . يدل على ذلك الاستشهاد فى التاريخ ويدل عليه استشهادنا الصغير فى حياتنا اليومية .

إننا إذا أحضرنا وعاء وملأناه بماء البحر نشعر بثقله . ولكننا حين نغطس فى نفس البحر يتدفق فوق رؤوسنا من الماء ما يملأ ألف وعاء ولا نشعر بثقلها فنحن نحمل وعاء النفس بقوتنا . وتحت ظل الأنانية يأخذ السرور والألم كل مالهما من ثقل . ولكنهما يخفان إلى حد كبير فى ظل الأخلاق . حتى أن الإنسان الذى يتصف بها يبدو لنا مثلا أعلى للانسانية فى صبره أمام الظروف القاسية المحطمة وتجلده فى احتمال العذاب الشديد .

ويقول فى هذا الباب ويشرح فكرة اندماج الفرد فى الحياة الشاملة . . . .

أخبرنى تلميذ من تلاميذى ذات مرة بمخاطرته فى زوبعة عاصفة ، وشكا إلى ما كان يلاقى من عناء وتعب طوال وقته . وأن الطبيعة

فى هياجها وعنفها كانت تعامله كأنه حفنة من التراب ولم يكن له بإزائها كشخصية ذات صفة معينة وإرادة مستقلة ، أقل تأثير فيما كان يحدث .

قلت إذا كان اعتبارنا الفردى سيمنع الطبيعة من أن تسير سيرها فإن الخسارة ستقع أكثر ما تقع على الأفراد أنفسهم .

ولكنه أصر على شكه . قائلا لقد كان هذا الأمر الذى لا يمكن تجاهله وهو الشعور بذاتى فالذاتية الكائنة فى نفسى تبحث عن صلة فردية بالنسبة لها .

فأجبت بأن الذاتية متصلة بشىء غير ذاتى فيجب والحالة هذه أن نبحث عن وسيط لكليهما ويجب أن نوقن تمام اليقين بأنه لدى (الذاتى) كما هو لدى غير الذاتى على حد سواء .

تحقيق الحياة بالحب

[الحب هو المرفأ الذى تتجه نحوه سفينة الحياة ، ليقودها إلى السرور الذى هو غاية الحياة وهو أصل الأشياء : منه تبتدىء وإليه تعود . ولا خير فى حياة تقوم على الأثرة والأنانية وحب الإمتلاك واستغلال الإنسان لأخيه واستخدامه فى أغراضه كالآلة الصماء]

وقد اشتملت السادهانا على فصل مسهب فى هذا الباب نورد منه ما يأتى .

إن الحب يهب نفسه فى هبات لا عدد لها . ولكن هذه الهبات تفقد عظمتها الكبرى إذا كنا لا نصل عن طريقها إلى ذلك الحب الذى يهبها . ولكى نصل إلى ذلك الغرض يجب أن يكون الحب مستقرا فى قلوبنا . ومن خلا قلبه من الحب إنما يزن هبات محبه بميزان المنفعة فحسب . ولكن المنفعة شىء ، وقتى جزئى . ولا تشغل سائر حياتنا .

إنماينفعنا يمسنا فى الموضع الذى نحتاج فيه أمرا من الأمور . فإذا بلغنا غايتنا ، كان استمرار المنفعة عبئا على كاهلنا والحب على خلاف ذلك . فإنه إذا عمر قلوبنا كان للإشارة المجردة قيمة لاتفنى ، لأنه ليس مقيدا بأية منفعة . فهو نهاية فى حد ذاته . وإنه لشىء يشمل سائر حياتنا . لذلك لا نحس منه بنصب

نستطيع أن نسأل ، فى أية حال قبلنا هذه الدنيا التى هى هبة السرور الكامل . هل استطعنا أن نلقاها فى قلوبنا حيث تزدحم حاجاتنا التى نعدها ذات قيمة لاتفنى . إننا نشغل أنفسنا إلى حد جنونى باستخدام قوى الكون حتى نبلغ بها قوة فوق قوة ، فنطعم ونكتسى ونسعى على وجوهنا لننال خيراتها . ولا تلبث أن تصير لنا كميدان للتناحر .

ولكن هل نحن خلقنا لذلك . فننشر حق امتلاكنا على هذا العالم؟ ونجعله سلعة من سلع الأسواق . وإذا كان فكرنا لا ينصرف إلا إلى تسخير هذا العالم لخدمتنا فحسب فإنه يفقد قيمته الحقيقية . فنحن نرخص ثمنه برغباتنا الدنيئة . وهكذا نقضى حياتنا إلى النهاية تتغذى به ونفقد

حقيقته كالطفل الشره الذى يمزق أوراق كتاب نفيس ويحاول أن يزدردها .

فى البلاد التى يسود فيها أكل لحوم البشر ، ينظر الانسان إلى أخيه كأنه جزء من طعامه ولا حياة للمدنية فى مثل هذه البلاد . لأن الانسان فيها يفقد قيمته العليا ، ويصبح شيئا عاديا . لكن فى الحياة صنف آخر من أكلة لحوم البشر . ربما لم يبلغوا هذا الحد من الفظاعة ، ولكنهم ليسوا أقل فظاظة من هؤلاء . واننا لا نذهب بعيدا إذا أردنا أن نصل إليهم . ففى بلاد ترتفع فى سلم المدينة ، نجد أن الإنسان فى بعض الاحيان ينظر إليه كأنه جسم لا أكثر ولا أقل . يباع ويشترى فى السوق بثمن لحمه فحسب . وتقدر قيمته بمقدار نفعه فيتحول إلى آلة صماء ويتجر به رب المال لينال المزيد منه وهكذا تتولد شهوتنا وينبعث جشعنا وحبنا للراحة ، من إرخاص قدر الإنسان إلى أحط القيم وهذا هو خداع النفس بأوسع معانيه . ان رغبتنا تعمينا عن الحق الذى يحمله الإنسان وتلك أكبر خطيئة نجنيها بأيدينا على أرواحنا .

... ويقول تاجور فى هذا البحث القيم :

فى الحب تظهر متناقضات الوجود جميعا ثم تختفى ، وفى الحب وحده تتجلى الوحدة والازدواج بغير اختلاف . فالحب واحد وهو اثنان فى وقت واحد .

والحب وحده حركة وراحة فى وقت معا ومازال قلبنا يتحول ويتغير فى قلقه حتى يجد الحب فيظفر براحته .

طيور شاردة

[تشمل هذه المجموعة مقاطيع شعرية غاية في الصغر وقد كتبها الشاعر وهو على ظهر الباخرة التي أقلته إلى اليابان فنهج فيها نهج الشعر الياباني في هذا النوع من الشعر الذي يحمل أكبر المعنى في أقل الكلمات ويقول في هذا الكتاب]

دموع الأرض هي التي تحفظ لك ابتساماتها الجميلة

إذا كنت تريق الدموع لفقد الشمس ، فسوف تفقد النجوم كذلك

ما هي لغتك أيها البحر ؟

إنها لغة السؤال الأبدي

وما جوابك أيتها السماء ؟

إنها لغة الصمت الأبدي

ما هو أنت ، شيء لا تعرفه ، وإنما الذى تراه هو الخيال

لا أستطيع أن أختار أحسن الأشياء

ولكن أحسن الأشياء هى التى تختارنى

الراحة من العمل كالجفون للعيون

أيها الجمال إنك تجد نفسك فى الحب

لا فى المرآة المداهنة

أيها القمر ماذا تنتظر ؟

أنتظر الشمس التى أفسح لها الطريق

يتمنى الطائر أن يكون سحابا

ويتمنى السحاب أن يكون طائرا

أيتها النبتة الصغيرة إن خطواتك قصيرة

ولكنها تملك الأرض من تحتها

نحن نقرب من العظيم حينما نكون عظماء فى تواضعنا

الفنان يحب الطبيعة

ومن ثم فهو عبدها وسيدها

لتكن الحياة جميلة كأزهار الصيف ،

والموت كأوراق الخريف

قالت القوة للعالم أنت لى

ولكن الحياة اتخذتها أسيرة عند عرشها

وقال الحب للحياة أنت لى

فأعطته الحياة حريتها

إذا أغلقت بابك عن الأخطاء

فإن الحق لا يصل إليك

العقل الذى يسير بالمنطق فى كل شىء

سلاح ذو حدين يدمى اليد التى تستخدمه

فهـــرس

تصويب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٣	٩	ويحي فيها الشعور	ويحي فيهاالشرور

مطبعة الرســـالة

٣ شارع حموده المقاول — عابدين